العقيدة

تأليفُ

الشَّيخِ العَلاَّمَةِ حَافِظِ بْنِ أَحْمَدَ الْحَكَمِيِّ

توفي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى عام ١٣٤٢- ١٣٧٧ ه

شرح

أبي المنذر/ فؤاد بن يوسف أبو سعيد

نائب رئيس المجلس العلمي للدعوة السلفية

بفلسطين

قام بنشر المنظومة:

Almodhe1405@hotmail.com

almodhe@yahoo.com

ونقلت من كتاب مجموع الأبيات والمنظومات لتقريب المحفوظات، إعداد: سيف الطلال الوقيت.

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، **وأشهد** أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، **وأشهد** أن محمدا عبده ورسوله، **اللهم** صل وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين، **أما بعد:**

فطلب العلم فريضة على كل مسلم، خصوصا العلم الذي لا ينفع فيه غيره، لأن هناك علم قد يقوم به غيرك، وأنت لا شيء عليك إن شاء الله، لكن العلم الخاص بك، كيف تصلي؟ كيف تصوم؟ علم التوحيد، بأن توحد الله عز وجل، هذا خاص، فقد كان السابقون يسعون للعلم، ويضربون له أكباد الإبل الشهر والشهرين للوصول إلى شيخهم، يأخذون عنه العلم، واليوم والحمد لله هذا متوفر ومتيسر خصوصا نحن هنا الذي حرمنا من الخروج خارج حدود غزة، محرومون، حتى العمرة نخرج لها بالغصب، والأمور الأخرى كطلب العلم، فربما بعض الناس المنحة التي حصل عليها ربما تذهب من كثرة الإغلاقات وما شابه ذلك، ويبقى عندنا في داخل هذه البيضة (**بيضة غزة**)، الإنسان كما يقول الناس بالعامية (يمشي حاله فيها)، وهذا من باب التذكير.

واليوم والحمد لله نحن مع هذه الكوكبة من الأبيات من المنظومة الشعرية لأحد المشايخ العلماء الذين توفوا رحمة الله تعالى عليهم وعلى علمائنا أجمعين، يشرح لنا ويبين فيها مقارنة بين الدنيا ويحذر منها، ويزهدك فيها، وبين الآخرة يحثك عليها ويجعلك تقبل عليها بقلب وقالب.

هذه المنظومة اسمها الهائية، **للشيخ**: حافظ بن أحمد الحكمي رحمه الله تعالى، الذي ولد عام: ١٣٤٢هـ، وتوفي عام: ١٣٧٧هـ، وإليكم شيئا من ترجمته وسيرته.

بسم الله الرحمن الرحيم

مختصر من ترجمة الشيخ حافظ بن أحمد حكمي؛ بقلم ولده أحمد =بن حافظ بن أحمد الحكمي=:

- **مولده ونشأته:**

ولد الشيخ =رحمه الله= حافظ الحكمي لأربعٍ وعشرين ليلة خلت من شهر رمضان المبارك، من سنة ١٣٤٢هـ، بقرية (السلام) التابعة لمدينة (المضايا) -الواقعة في الجنوب الشرقي من مدينة (جازان) =في المملكة العربية السعودية= حاضرة المنطقة، على الساحل، قريبة منها- حيث قبيلته التي إليها ينتسب...

يُعدُّ الشيخُ حافظٌ من أجلِّ علماء منطقة تهامة، وأقدرهم على قول الشعر، =والشعر هبة من الله عز وجل، بعض الناس يكون عليه نقمة، **{والشعراء يتبعهم الغاوون}**، وبعض الناس يكون عليهم نعمة، كما كان يستعين النبي صلى الله عليه وسلم بحسان بن ثابت ونحوهم= فقد كان يعشق الشعرَ منذ صغره، ويحفظه ويقوله سليقة =أي فطرة= دون تكلف =رحمه الله=، فلا غرابة إذ رأيناه يُخرج أكثر مؤلفاته نظماً، =فكان إذا أراد أن يؤلف كتابا عن طريق الشعر=...

في سنة ١٣٧٣هـ افتتحت وزارة المعارف السعودية مدرسة ثانوية بـ(جازان) عاصمة المنطقة، فعين الشيخ حافظ أوَّل مدير لها في ذلك العام...

ثم افتُتِحَ معهدٌ علميٌّ تابع للإدارة العامة للكليات والمعاهد العلمية آنذاك؛ =والتي هي نواة لـ= (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية حالياً) بمدينة (صامطة) في عام: ١٣٧٤هـ، فعين الشيخ حافظ مديراً له؛ فقام بعمله هذا خير قيام، وكان يلقي فيه بعض المحاضرات ويملي على تلاميذه الكثير من المعلومات الشرعية واللغوية المفيدة، ويضع لهم المذكرات الدراسية للفنون التي لم تقرَّر لها كتب علمية وفق المناهج المحددة، كان يمليها أحياناً بنفسه، وقد يمليها عن طريق المدرسين بالمعهد أحياناً أخرى...

- **صفاته:**

كان الشيخ حافظ الحكمي -رحمه الله- مثالاً يحتذَى لكل طالب علم يريد التحصيل والعلم النافع، ومثالاً لكل عالم جليل متواضع، يحب لتلاميذه وزملائه كل خير وصلاح.

- **وفاته:**

لم يزل الشيخ حافظ مديراً لمعهد صامطة العلمي، حتى حجَّ في سنة ١٣٧٧هـــ، وبعد انتهائه من أداء مناسك الحج لبَّى نداء ربِّه =فقد ختم له بعمل صالح، بخامس ركن من أركان الإسلام، وهذا= في يوم السبت، الثامن عشر من شهر ذي الحجة سنة ١٣٧٧هـــ بمكة المكرمة، على إثر مرض ألمَّ به، وهو في ريعان شبابه، إذ كان عمره آنذاك خمساً وثلاثين سنة ونحو ثلاثة أشهر، ودُفن بمكة المكرمة، رحمه الله تعالى رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته، =نسأل الله له ذلك=...

=أما حالته الاجتماعية= وله من الأبناء أربعة =أبناء ذكور= هم أحمد -كاتب هذه الأسطر-، وعبد الله ومحمد وعبد الرحمن، وفقهم الله جميعاً وسدد خطاهم، وأخذ بأيديهم لما فيه خيرهم وصلاحهم..

=أما= **مؤلفاته،** =فتقارب العشرين مؤلفا=:

- في التوحيد:

١- (**سلم الوصول إلى علم الأصول، في توحيد الله واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم**)، =وهو عبارة عن= أرجوزة في أصول الدين، انتهى من تسويدها في سنة ١٣٦٢هـــ، وهي أوَّل ما ألف...

٢- (**أعلام السنة المنشورة، لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة**) كتابٌ مؤلَّفٌ على طريقة السؤال والجواب.

٣- (**الجوهرة الفريدة، في تحقيق العقيدة**) منظومة دالية، =تنتهي بحرف الدال=.

- في المصطلح:

٤- (**دليل أرباب الفلاح، لتحقيق فن الاصطلاح**) كتاب جليل حافل في مصطلح الحديث.

٥- (**اللؤلؤ المكنون، في أحوال الأسانيد والمتون**) منظومة.

- =أما= في الفقه:

٦- (**السبل السوية، لفقه السنن المروية**) منظومة طويلة في الفقه وفق أبوابه المعروفة، =يعني يبدأ بالطهارة والصلاة ...=.

- في أصول الفقه:

٧- (**وسيلة الحصول، إلى مهمات الأصول**) منظومة في أصول الفقه.

٨- =وهناك= متن =في أصول الفقه، اسمه= (**لامية المنسوخ**) منظومة لامية الروي في النسخ وما يدخله من الكتب الفقهية، =ومعنى منظومة لامية أي أنها تنتهي بحرف اللام=.

- =أما= في الفرائض =أي المواريث=

٩- (**النور الفائض، من شمس الوحي، في علم الفرائض**)، رسالة منثورة في علم الفرائض.

- في التاريخ والسيرة النبوية:

١٠- (**نيل السول، من تاريخ الأمم وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم**) منظومة تاريخية، =نيل يعني طلب، والسول مخففة من السؤل، يعني كثرة الذين يسألون عن السيرة=.

- =أما= في النصائح والوصايا والآداب العلم:

١١- (**نصيحة الإخوان**) المشهورة بـــ(**القاتية**)، =تتكلم عن القات الذي يأكله ويشربه ويمتصه إخواننا أهل اليمن رحمهم الله وهداهم، ورفع عنهم أذى الحوثيين وغيرهم= وعنوانها: (**هذا سؤال بشأن القات والدخان والشمَّة**)، =يتكلم فيها عن الثلاثة الدخان والشمة وقات اليمن= وهي قصيدة تائية.

١٢- (**المنظومة الميمية، في الوصايا والآداب العلمية**) قصيدة ميمية رائعة في الحث على العلم وطلبه، والتمسك بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وقد طبعت جميع هذه الكتب من مؤلفات الوالد الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله طبعتها الأولى، ما أرِّخ منها وما لم يؤرخ في سنتي ١٣٧٣هـــ- ١٣٧٤هـــ، على نفقة جلالة المغفور له =إن شاء الله= الملك سعود بن عبد العزيز

=وهو والد الملوك الموجودين اليوم= بمطابع البلاد السعودية بمكة المكرمة، عدا كتاب =واحد لم يطبع في ذلك الزمان وهو:= معارج القبول الذي طبع طبعته الأولى (نحو سنة ١٣٧٧هـ) =يعني في سنة وفاته= في المطبعة السلفية بمصر.

وللوالد الشيخ –من بعد– بعض الرسائل والمنظومات المخطوطة =أي لم تظهر للناس بعد و= التي لم تطبع بعد، أهمها:

١– (مفتاح دار السلام، بتحقيق شهادتي الإسلام).

٢– (شرح الورقات، في أصول الفقه؛ لأبي المعالي الجويني).

٣– (همزية الإصلاح، في تشجيع الإسلام وأهله، والتمسك كلُّ التمسك بأساسه وأصله).

٤– (مجموعة خطب للجمع والمناسبات الدينية).

وكل مؤلفاته رحمه الله تعطيك الدليل الواضح على مكانته العلمية، وعلى تعمقه في كثير من جوانب المعرفة، =حيث إنه رحمه الله لم يقتصر على جانب معين في العلوم، وكانت جوانب المعرفة أكثر من جانب= وهي كتب قيمة يكفي للدلالة على جودتها وقيمتها أن بعضها عرض على فضيلة العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله مفتي الديار السعودية آنذاك، فاستحسنها واستجادها، وأشار إلى الحكومة بطبعها وتوزيعها، حتى يستفيد منها الخاصة والعامة على السواء، لما فيها من فوائد جمَّة، ونصائح عامة نافعة لجميع المسلمين في دينهم ودنياهم، ولأنها تحضهم على التمسك بكتاب الله وسنة رسوله الأمين صلى الله عليه وسلم، وعلى اتباع السلف الصالح، والأئمة المبرزين من علماء المسلمين.

رحم الله الشيخ حافظاً الحكمي رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته، وجزاه عما قدم خير الجزاء، وغفر له ولوالديه ولشيخه ولجميع المسلمين، =فهذا مختصر عن سيرته وحياته رحمه الله تعالى=. المصدر: ملتقى أهل الحديث.

شرح المنظومة الهائية

قال الشيخ الناظم حافظ حكمي رحمه الله تعالى:

١) ما لي و للدُّنيا وليستْ ببُغْيَتي ... وَلاَ مُنْتَهى قَصْدي ولستُ أَنا لها

٢) ولستُ بمَيّالٍ إِليها ولا إِلى ... رئاساتِها فَتْناً وقبْحاً لحالها

٣) هي الدارُ دارُ الهمِّ والغمِّ والعَنا ... سريعٌ تقضِّيها قريبٌ زوالُها

٤) مياسيرُها عُسْرٌ وحزنٌ سرورُها ... وأَرباحُها خسرٌ ونقصٌ كمالُها

٥) إِذا أَضحكتْ أَبكتْ وإِن رامَ وصلَها ... غيٌّ فيا سُرْعَ انقطاعِ وصالِها

٦) فأَسأَلُ ربيَ أَنْ يحولَ بحوله ... وقُوَّتِهِ بيني وبين اغتيالِها

٧) فيا طالبَ الدنيا الدنيئةِ جاهداً ... أَلا اطلبْ سواها إِنها لا وفا لها

٨) فَكَمْ قَدْ رأَينا من حريصٍ ومشفقٍ ... عليها فلمْ يَظْفَرْ بِها أَن ينالَها

٩) لَقَدْ جاء في آيِ الحديدِ ويُونسٍ ... وفي الكهفِ إِيضاحٌ بضربِ مِثالِها

١٠) وَفي آلِ عِمرانَ وسورةِ فاطرٍ ... وفي غافرٍ قد جاء تِبْيانُ حالِها

١١) وَفي سورةِ الأَحقافِ أَعظمُ واعظٍ ... وكمْ من حديثٍ موجبٍ لاعتزالِها

١٢) لَقَدْ نظروا قومٌ بعينِ بصيرةٍ ... إِليها فلمْ تَغْرُرْهُمُ باختيالها

١٣) أُولئك أَهلُ اللهِ حقّاً وحزبُه ... لهم جنةُ الفردوسِ إِرثاً ويا لها

١٤) ومالَ إِليها آخرونَ لِجَهْلِهِمْ ... فلمَّا اطمأَنُّوا أَرشَقَتْهُمْ نِبالُها

١٥) أولئك قومٌ آثروها فأُعقِبوا ... بها الخِزْيَ في الأُخرى وذاقوا وَبالَها

١٦) فَقُلْ للذينَ اسْتَعْذَبوها رُوَيْدَكُم ... سَيَنْقَلِبُ السُّمُّ النقيعُ زلالَها

١٧) لِيَلْهوا ويغترُّوا بها ما بدا لهُمْ ... متى تبلُغِ الحلقومَ تُصْرَمْ حبالُها

١٨) ويوم توفَّى كلُّ نفسٍ بكَسْبِها ... تَوَدُّ فداءً لو بَنيها ومالَها

١٩) وتأْخذُ إما باليمينِ كتابَها ... إذا أَحسنتْ أَو ضدَّ ذا بشِمالِها

٢٠) ويبدو لَدَيْها ما أُسَرَّتْ وأَعلنتْ ... وما قدَّمَتْ من قولِها وفعالِها

٢١) بأَيدي الكرامِ الكاتبينَ مسطّرٌ ... فلم يُغْنِ عنها عُذْرُها وجدالُها

٢٢) هنالك تدري ربحَها وخَسارَها ... وإذ ذاك تَلْقى ما إليه مآلُها

٢٣) فإن تكُ من أَهل السعادةِ والتُّقى ... فإنَّ لها الحسنى بِحُسنِ فِعالِها

٢٤) تفوزُ بجنَّاتِ النعيمِ وحورِها ... وتُحْبَرُ في روضاتِها وظلالِها

٢٥) وترزقُ ممَّا تَشْتَهي من نعيمِها ... وتشربُ من تَسْنيمها وَزُلالَها

٢٦) وَإِنَّ لهم يومَ المزيدِ لموعداً ... زيادةُ زُلْفى غيرُهُم لاَ ينالُها

٢٧) وجوهٌ إلى وجهِ الإلهِ نواظرُ ... لقد طالَ ما بالدمعِ كانَ ابتلالُها

٢٨) تجلى لها الربُّ الرحيمُ مسلِّماً ... فيزدادُ من ذاك التَّجلِّي جمالُها

٢٩) بمقْعَدِ صدقٍ حبَّذا الجارُ ربُّهم ... ودارِ خلودٍ لم يخافوا زوالَها

٣٠) فواكِهُها ممَّا تَلَذُّ عيونُهُم ... وتَطَّرِدُ الأَنهارُ بين خلالِها

٣١) على سُرُرٍ موضونةٍ ثم فرشهم ... كما قال فيها ربُّنا واصفاً لها

٣٢) بطائِنُها إِسْتَبْرَقٌ كيف ظَنُّكُم ... ظواهِرُها لا مُنْتَهى لجمالِها

٣٣) وإِن تكنِ الأُخرى فويلٌ وحسرةٌ ... ونارُ جحيمٍ ما أَشدَّ نَكالَها

٣٤) لهم تحتَهُم منها مهادٌ وفوقَهم ... غواشٍ ومِنْ يحمومٍ ساء ظلالُها

٣٥) طعامُهُمُ الغسلينُ فيها وإِن سُقُوا ... حميماً بهِ الأَمعاءُ كان انْحِلالُها

٣٦) أَمانِيُّهم فيها الهلاكُ وما لَهم ... خروجٌ ولا موتٌ كما لا فَنا لها

٣٧) مَحَلَّيْنِ قل للنفسِ ليس سواهما ... لِتَكْسَبْ أَو فَلْتَكْتَسِتْ ما بدا لها

٣٨) فطوبى لنفسٍ جَوَّزَتْ وتَخَفَّفَتْ ... فَتَنْجو كفافاً لا عليها ولا لها

الشرح:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى من اهتدى بهداه إلى يوم الدين وبعد؛

من **عرف حقيقة الدنيا استغنى عنها:**

قال الناظم حافظ حكمي رحمه الله تعالى:

١) ما لي وللدُّنيا وليستْ ببُغْيَتِي ... وَلاَ مُنْتَهى قَصْدي ولستُ أَنا لها

٢) ولستُ بمَيّالٍ إِليها ولا إِلى ... رئاساتِها فتناً وقبْحاً لحالها

أول ما بدأ به الشيخ يتكلم عن الدنيا فـــهذه منظومة فيها من التوحيد وفيها الزهد وفيها الرقائق، وفيها ما يحث قارئها وتاليها إلى التحلي بها قلبا وقالبا، فابتدأ الناظم رحمه الله سبحانه وتعالى بالتحذير من الدنيا، وما فيها من مغريات وملهيات، هذان البيتان وضعت لهما عنوانا: **(من عرف حقيقة الدنيا استغنى عنها)**.

الدنيا فيها الشهوات والملذات، وفيها الأزواج والزوجات، و فيها البنين والبنات، فيها المكاسب والمناصب، فيها المأكولات المتنوعة، والمشروبات المختلفة، فيها الملابس الزاهية، وهي كما قال الله: **{زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ}** =كل هذه الأشياء= **{ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ}**. (آل عمران: ١٤)، فيامن لم تنشغلوا بالدنيا عن الآخرة اترك من انشغل بالدنيا، و **{ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ}**. (الحجر: ٣)

هؤلاء لا تفكِّرْ فيهم، اتركهم، كما قال الله: **{إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ}**. (محمد: ٣٦)، كل ما تملك في هذه الحياة الدنيا، كل ما أخذته من أمور استفدت منها، واستمتعت بها **{وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ}** وكلمة شيء هنا نكرة، تشمل كل ما يتمتع به الإنسان، **{فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ}**، هنا مقارنة، **{أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ**

مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ}. (القصص: ٦٠، ٦١)، فرْقٌ والله، لقد وعد بعض الناس وعدا حسنا، وهم المؤمنون، ومتع الله أناسا متاع الحياة الدنيا، هذا كهذا؟! لا يستوون.

فإذا كانت الدنيا كذلك فليست من أهداف الإنسان العاقل، لا أريد الدنيا، لا أبتغيها، -كما قال الشيخ رحمه الله- ولا ببغية المؤمن الذي عنها راحل، ولا هي مقصد الواعي المستبصر، ولا يميل إليها ولا تستهويه لا بآمالها ولا بآلامها، ولا بمناصبها ولا بفتنها، فما هي حقيقة هذه الدنيا؟ قال الشيخ رحمه الله:

***

هذه هي حقيقة الدنيا:

٣) هي الدارُ دارُ الهمِّ والغمِّ والعَنا ... سريعٌ تقضِّيها قريبٌ زوالُها

٤) مياسيرُها عُسْرٌ وحزنٌ سرورُها ... وأَرباحُها خسرٌ ونقصٌ كمالُها

٥) إِذا أَضحكتْ أَبكتْ وإِن رامَ وصلَها ... غيٌّ فيا سُرْعَ انقطاعِ وصالِها

فأهل الدنيا بدنياهم يضحكون، وبدنياهم يستمتعون، **{فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}**. (التوبة: ٨٢)، أهل الدنيا بالمؤمنين يسخرون، ومن المؤمنين يضحكون، **{فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ}**. (المؤمنون: ١١٠)

حقيقةً؛ أهل الدنيا هم الذين أساؤوا لأهل الآخرة، فحقا إنهم المجرمون، **{إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ * وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ * وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ * وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ * فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ}** (المطففين: ٢٩- ٣٤).

ومع أن فيها ما يسرٌّ ففيها ما يضرٌّ، فمن ذلك فيها البؤس والشقاء، والهموم والغموم، والمصائب والنكبات، والموت والأمراض والابتلاءات، وفيها اللذات، وفيها الشهوات، وفيها المنغصات والمؤلمات، فيها الأحزان والأتراح، وفيها الآلام والجراح، فيها الشدائد والضيق...

إن جاء الفرح ساعات، أعقبه الندم والهم والحزن أياما وشهورا أو سنوات.

وإن اغتر بسرورها غبيٌّ مغرور فضحك لحظات، ظهرت له على حقيقتها فأحزنته وأبكته أكثر الأوقات، **{وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ}**. (الأنعام: ٣٢)، **{وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا}**. (الأنعام: ٧٠)

حقًّا! **{وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}**. (العنكبوت: ٦٤)، دار الآخرة حيوان، ما معنى حيوان هنا؟ الحياة الباقية التي لا تنقطع، حياة لا موت فيها، و **{اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ}**، هذه هي حقيقة الحياة، فالتكاثر، **{فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ}**.

هذا الذي نراه كله **{كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا}**، هذا المثل للدنيا.

{وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ}. (الحديد: ٢٠).

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ =رضي الله تعالى عنه وأرضاه=: **(ارْتَحَلَتِ الدُّنْيَا مُدْبِرَةً، وَارْتَحَلَتِ الآخِرَةُ مُقْبِلَةً، وَلِكُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بَنُونَ)**، =لكل واحدة أبناء= **(فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ)**، =كونوا مستعدين متهيئين للمقبلة لا للمدبرة= **(وَلاَ تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ اليَوْمَ عَمَلٌ وَلاَ حِسَابَ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلاَ عَمَلٌ)** ذكره البخاري معلقا.

****

فإذا عرفت الدنيا على حقيقتها زهدت فيها وفررت منها:

٦) فأَسأَلُ ربيَ أَنْ يحولَ بحوله ... وقُوَّتِهِ بيني وبين اغتيالِها

٧) فيا طالبَ الدنيا الدنيئةِ جاهداً ... أَلا اطلبْ سواها إِنها لا وَفَا لها

٨) فَكَمْ قَدْ رأَينا من حريصٍ ومشفقٍ ... عليها فلمْ يَظْفَرْ بِها أَن ينالَها

هذا العنوان لهذه الأبيات (إذا عرفت الدنيا على حقيقتها زهدت فيها وفررت منها)، فلنسأل الله عز وجلّ ونتوسل إليه أن يجنبنا بحوله وقوته خداعها واغتيالها وغرورها، **{ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ}** خطاب للكفار يوم القيامة **{ وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ}**. (الجاثية: ٣٥).

وهذه الدنيا من خلقها؟ الله، من جعل فيها المتاع؟ الله! **{اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا}**، الله سبحانه وتعالى هو خالق هذه الدنيا ومتاعها، ففرح بالمتاع، والله أمرك بأوامر ونهاك عن نواهي، لم تركت هذا وتمسكت بذاك، وهذا حال الخاسرين، **{ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ}**. (الرعد: ٢٦)، متاعٌ كلُّ ما في الدنيا؛ كل ما في الدنيا متاع، من بنين وما ذكر من خيل وبغال، وما ذكر من قناطير مقنطرة ذهب وفضة، من زوجات، يعني الدنيا بأكملها لو كانت مِلْكًا لفرد واحدٍ لكانت في الآخرة بمثابة متاع، يعني شيء يستمتع به وينتهي، المتاع يعني ينقطع، يتمتع وينتهي به، هذه الدنيا بأكملها من أولها إلى آخرها في الآخرة متاع، إذن ما عنده الله مما ادخره الله لأهله، لأهل الله سبحانه وتعالى، وأهل الآخرة ادخر شيئا عظيما، أقل شيء هذا المتاع.

وعن مُسْتَوْرِدٍ، أَخي بَنِي فِهْرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَاللهِ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ**" -وَأَشَارَ يَحْيَى =أحد الرواة= بِالسَّبَّابَةِ- =أو المسبحة= "**فِي الْيَمِّ**"، =ضعها في النهر أو في البحر= "**فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ؟**». صحيح مسلم (٢٨٥٨)، كم تحمل من الماء؟ شيء لا يذكر.

انظر إلى الدنيا هذه بالنسبة للآخرة، بعض الناس -مثل قارون مثلا- امتلك الملايين وأطنان الذهب والفضة، ومع ذلك؛ كل هذا لا يساوي عند الله جناح بعوضة.

***

الدنيا مذمومة وما هي إلا متاع إلى حين:

٩) لَقَدْ جاء في آيِ الحديدِ ويُونسٍ ... وفي الكهفِ إيضاحٌ بضربِ مثالِها

١٠) وَفي آلِ عِمرانَ وسورةِ فاطرٍ ... وفي غافرٍ قد جاء تِبْيانُ حالِها

١١) وَفي سورةِ الأَحقافِ أَعظمُ واعظٍ ... وكمْ من حديثٍ موجبٍ لاعتزالِها

وقد جعلت عنوانا لهذه الأبيات (**الدنيا مذمومة وما هي إلا متاع إلى حين**)، يعني ليس متاعا دائما، بل متاع مؤقت فـــلقد ورد ذم الدنيا في أكثر من سورة في كتاب الله تعالى، **وركز الشيخ هنا على بعض السور:**

منها في سورة **الحديد**، وفي سورة الحديد؛ وأنت فكر الآن ما هي الدنيا؟ ما وصفها؟ ما حقيقتها؟ قال سبحانه: **{اعْلَمُوا أَنَّمَا}** و(أنما) يطلق عليها أسلوب قصر وحصر، **{الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ}**، الكفار المقصود بهم الزراع والفلاحين الذين يفلحون في الأرض، يعجبهم النبات، الآن مع الأمطار ظهر الشعير والقمح.

فمن عادات الناس، وهذا في اللغة يسمى (القصيل) وهذا يقصّ حتى تخرج العيدان التي فيها الثمر والحب والسنابل، وإذا بقي هكذا لا ينفع، ويحتاج إلى قص، فبعدها يهيج ويخضر، وبعدها يصفر، وخصوصا في الصيف يكون قد آن حصاده، وآن قطافه، وآن جَنْيُه، **{كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا}**، بعد أن يأكله الناس، وتأكله الدواب يصبح حطاما، **{وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ}**. (الحديد: ٢٠)

أكثر من آية تبين أن الحياة الدنيا متاع الغرور، ومعنى (**الدُّنْيَا مَتاعُ الغُرُورِ، أرادَ: إنَّمَا العَيْشُ مَتاعُ أيّامٍ، ثُمَّ يَزُولُ** =لا يطول=). تاج العروس (٢٢/ ١٨٢)، وقد شرحوا ذلك في اللغة.

و أما سورة **يُونسٍ**؛ فمشابهة لكن زادت على الآية الأولى بوصف آخر: **{إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ}** أمطرت السماء علينا، فجاء الغيث إلينا، **{فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ}**، سواء أشياء يأكلها الإنسان من الثمار والحبوب، أو تأكلها الحيوانات من الحشائش والأعشاب، **{حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا}**، انظر إليها في الربيع، ألوان شتى من الأخضر والأصفر والأحمر والألوان الأخرى، تنبعث بدون زارع، لا نتكلم عن من يزرع، نتكلم عن ما خرج بأمر الله سبحانه وتعالى في الجبال الآكام، وبطون الأودية وحواف الطرقات والشوارع، وهذا موجود بكثرة، **{أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا}**، وزخرفها من فعل الإنسان؛ كالعمارات والتقدم والرقي في الأجهزة وغيرها، **{وَازَّيَّنَتْ}** صارت زينة، ووصل الناس في أفهامهم أن هذا الأمر كما قال الله عن القدماء عندما قالوا: **{مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً}**. (فصلت: ١٥)، واليوم يقول الكفار والذين يصنعون الأجهزة الحديثة وما شابه ذلك: ماذا بقي بعد ذلك؟ بهذا **{وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا}**، يعني يقولون بعد ذلك: ما بقي شيء، القمر وصلناه، بعض الكواكب وصلوها، هكذا يدعون ويقولون، والله أعلم بصحة المقال، لكن نأخذهم على هذا الأمر بفرض صحته، فماذا يريدون بعد ذلك؟

فإذا ظنوا أنهم قادرون عليها وتوقف العلم وتوقف الناس قالوا: لا نحتاج إلى تفكير جديد، ولا إلى اختراعات جديدة، **{أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا}**، الله سبحانه وتعالى ما بين أن البلاء والقيامة تقوم على ماذا؟ في الليل أم في النهار؟ **{فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ}**، هذا الحصيد نراه سنويا، وبعض الحشائش والأعشاب نراها شهريا، تصير حصيدا وتأكلها الدواب وما شابه ذلك، وهكذا الناس وهكذا الدنيا، فكل سنة كأنَّ القيامةَ تقوم مرة كل سنة، والحياة سَنة، ثم تأتي سنة جديدة، وهكذا حتى يتذكر الناس ويتفكرون في الآخرة، كمثل الحياة الدنيا التي نعيشها تماما، فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس، كأنه ما في حياة بالأمس، أين ذهبت الدور؟ جاءت حرب مدمرة مثلا، جاءت عواصف أعاصير جاءت أمور، وتترك الأرض وتدعها بلاقع، لا يوجد فيها من يتنفس، يهلك الناس، فهذا الأمر كأن لم تغن بالأمس، أين أصحابها؟ أين أهلها؟ بعد أن يفوق الناس ويرجعوا إلى أماكنهم من بقي منهم، يصبحون يقلب أحدهم كفيه على ما ترك فيها، **{كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}**. (يونس: ٢٤).

و أما في سورة **الكهف** ففي قوله سبحانه: **{وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ}**، هشيم تطير به الرياح، وقبل هذا كان ثابتا في الأرض، وقائم على سوقه وعلى جذوعه، لكن بعد ذلك هو هشيم، تلعب به الرياح هنا وهناك، **{وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا}**. (الكهف: ٤٥).

وأما التي أشار إليها في سورة **آل عمرانَ**؛ **{مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}**، الآن يتكلم عن الناس الذين يغذون في هذه الحياة الدنيا، يغذنوها فينفقون في الزراعة، وينفقون في الصناعة، وينفقون في البنايات والعمارات، هذا الإنفاق، **{كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ}**، يعني فيها شيء يحرق، **{أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ}**، يحرق، فهل يحرق من شدة الحرارة؟ أو يحرق من شدة البرودة؟ على كلا الأمرين هذه الريح مدمرة حارقة لقوم، **{ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ}**، أصابت مزارع لأناس، ظلموا أنفسهم بالكفر والعياذ بالله، **{فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}**. (آل عمران: ١١٧)

هذا الظلم ليس من الله، بل ظلمهم ببعدهم عن كتاب الله، وهدي النبي صلى الله عليه وسلم، ببعدهم عن أوامر الله عز وجل فتركوها، واقترافهم لنواهي الله عز وجل فارتكبوها.

وفي سورةِ **فاطرٍ** نداء لجميع الناس، لكافرهم ومؤمنهم، لصالحهم وطالحهم: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ}**، وعد الله الذي وَعَدَنا إيَّاه، من آمن فله الجنة، ومن كفر فله النار، هذا وعد الله عز وجل، **{فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ}**، (بالله) لفظ الجلالة مجرور، و (الغَرور) صفة من صفات الشيطان، فالغرور فاعل ليغر،

{إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ}. (فاطر: ٥، ٦)، إذن هناك حزب الشيطان، هذا يدعو حزبه إلى عذاب السعير، هذه الدعوة؛ هل الشيطان يقول للناس: تعالوا إلى جهنم؟ لا يقول لهم ذلك، وإنما مسألة التزيين والتحسين، والوسوسة ليلا ونهارا، لفعل المحرمات والمنهيات، وترك المأمورات ليلا ونهارا، لا ييأس، كلّما يتعب شيطان ويكلّ يرجع إلى إبليس، ويرسل للشخص شيطانا آخرَ وفرقة ثانية وهكذا، كلما جاءوا يعقد لهم جلسة؛ لأن الشيطان لا ينام لا ليلا ولا نهارا، وفود وفود، يبعث جماعة ويستقبل أخرى، ماذا فعلتم؟ كما ورد في صحيح مسلم وغيره، فيخبره أحدهم: بقيت وراء فلان حتى طلق زوجته، وانظروا إلى المشاكل اليوم كم هي؟ من طلاق وغيره، واذهبوا واسألوا المحاكم: كم حالة طلاق شهريا؟ فيقول: (ما فعلتَ شيئا؟!) لا يعجبه، يوشك أن يرجع إليها، وبقيت وراء فلان حتى خاصم والديه يوشك أن يصالحهما، بقيت وراء فلان حتى قتل، فيقول الإبليس مسرورا: أنت أنت، بقيت وراء فلان حتى زنى، فيقول: أنت أنت، ويلبسه التاج، وهذا نص الحديث:

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "**إِذَا أَصْبَحَ إِبْلِيسُ بَثَّ جُنُودَهُ**، فَيَقُولُ: **مَنْ أَضَلَّ الْيَوْمَ مُسْلِمًا أَلْبَسْتُهُ التَّاجَ، فَيَجِيءُ أَحَدُهُمْ** فَيَقُولُ: **لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى عَقَّ وَالِدَهُ، فَقَالَ: يُوشِكُ أَنْ يَبَرَّهُ، وَيَجِيءُ أَحَدُهُمْ** فَيَقُولُ: **لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى طَلَّقَ امْرَأَتَهُ**، فَيَقُولُ: **يُوشِكُ أَنْ يَتَزَوَّجَ، وَيَجِيءُ أَحَدُهُمْ** فَيَقُولُ: **لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى أَشْرَكَ**، فَيَقُولُ: **أَنْتَ أَنْتَ، وَيَجِيءُ أَحَدُهُمْ** فَيَقُولُ: **لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى قَتَلَ**، فَيَقُولُ: **أَنْتَ أَنْتَ، وَيُلْبِسُهُ التَّاجَ**". الحاكم (٨٠٢٧)، وابن حبان (٦١٨٩)،و انظر الصَّحِيحَة (١٢٨٠)،

هذه أفعاله، وهذه هي أوامره، فيتسابقون ويتصارعون لإغواء بني آدم، واليوم أين أكثر أعمال الشياطين الآن؟ في الشرق الأوسط؟ الذي يوجد فيه المسلمون، وقلة قليلة ينتشر في العالم؛ لأنهم مضمونون لدى الشيطان، فيريد الذين هو غير ضامن لهم، فاحذروا منه ليلا ونهارا.

قال هَارُونُ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ هُرْمُزَ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ =تعالى= عَنْهُ: "**أَعْطَى النَّاسَ فِي عَامٍ وَاحِدٍ ثَلَاثَ عَطِيَّاتٍ**) =تأتيه فتوحات، ومن نتائج الفتوحات غنائم ويوزع لا يدخر، الأصل أن يعطيهم في السنة مرة، فكلما جاء شيء أعطاهم= (**قَالَ: ثُمَّ قَدِمَ عَلَيْهِ خَرَاجُ أَصْبَهَانَ**)، =وهذا رقم أربعة من الأعطيات= (**فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ**)، =فماذا يريد أن يفعل به؟ لا يوجد مخازن؛ لأن عليًّا رضي الله تعالى عنه ليس من أهل الدنيا، عليٌّ من أهل الآخرة= (**ثُمَّ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ! اغْدُوا إِلَى الْعَطَاءِ الرَّابِعِ فَخُذُوهُ، فَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَنَا لَكُمْ بِخَازِنٍ**)، =أنا

لست بحارس على مخازنكم، كل واحد منكم يأخذ حصته وقسمته أولا بأول= (**فَقَسَمَهُ فِيهِمْ، ثُمَّ أَمَرَ بَيْتَ الْمَالِ فَكَسَحَ وَنَضَحَ**)، =أي أن بيت المال فارغا، فرش فيه الماء= (**فَصَلَّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: يَا دُنْيَا! غُرِّي غَيْرِي**). الشريعة للآجري (٤/ ١٧٦٣) رقم: (١٢١٨).

وفي رواية: بعد قوله: (**يَا دُنْيَا غُرِّي غَيْرِي**)، قَالَ مسلم بن هرمز =تلميذه=: (**وَقَدِمَ عَلَيْهِ حِبَالٌ مِنْ أَرْضٍ**)، =يعني بعد العطاء الرابع تأخرت أشياء، أو جاءت أشياء جديدة من حبال= فَقَالَ: (**إِيشْ هَذَا؟**) =بهذا النص، يعني أي شيء هذا؟= قَالَ: (**حِبَالٌ جِيءَ بِهَا مِنْ أَرْضِ كَذَا وَكَذَا**)، قَالَ: (**أَعْطُوهَا النَّاسَ**)، =وتبقى الخزائن فارغة= قَالَ: (**فَأَخَذَ بَعْضُهُمْ وَتَرَكَ بَعْضُهُمْ، فَنَظَرُوا فَإِذَا هُوَ كَتَّانٌ يُعْمَلُ**)، =يستفاد منه في صنع الثياب، وهو غالي الثمن وهم لا يعلمون= (**فَبَلَغَ الْحَبْلُ آخِرَ النَّهَارِ دَرَاهِمَ**). =هذه الزيادة وردت في= فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (١/ ٥٣١) رقم (٨٨٢).

وأما الكلام عن غرور الدنيا وخداعها في سورة **غافرٍ** ففي قوله سبحانه: {**يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ**}. (غافر: ٣٩)، لاحظ سماها الحيوان، وسماها القرار، لأن الحياة هناك لا تنقطع، ما فيها موت، قرار استقرار، لو نظرنا إلى أنفسنا الآن الله أعلم أين سنذهب؟ لأن أعداءنا يتربصون بنا، فلا قرار هنا ولا استقرار، وهذا في منظور أناس عاديون، المؤمن منا لا قرار له في الدنيا، ولعلكم رأيتم وشاهدتم ذلك المقطع من شيخ كان يلقي درسا، ومات هو جالس، مباشرة، وقام إليه الناس، وواحد وهو ساجد بقي ساجدا، وهذه خواتيم حسنة، بخلاف الذي يموت في الدورة، والذي يموت وهو في مرقص، والذي يموت وهو يشرب الخمر، ومات على بطن امرأة بالحرام، نسأل الله السلامة، فالعبرة بالخواتيم، فلذلك اسأل الله حسن الخاتمة، وإلا الموت موت، لكن نسأل الله حسنها.

وفي سورة **الأحقاف**: {**وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ**}، ما السبب؟ {**أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا**}، والطيبات الذي جعلها الله لكم من أكل وشرب وما شابه ذلك، الكفار استخدموها ولم يؤدوا الله حقه فيها، {**وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ**}. (الأحقاف: ٢٠)، إذن يوجد استكبار وفسق، والفسق يكون منه الكفر والعياذ بالله، والخروج عن أمر الله سبحانه وتعالى، وقد يكون الفسق معاصٍ.

(**صَحَّ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ**) =رضي الله تعالى عنه= (**أُتِيَ بِطَعَامٍ، وَكَانَ صَائِمًا**)، =ونذكر سيرته في سطر واحد: هذا عبد الرحمن بن عوف كان فقيرا جدا، وعندما مات كانت تركته تقسم بالفؤوس، ليست بالميزان،

الذهب والفضة توزع بالفؤوس= (**فَقَالَ: قُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي، كُفِّنَ فِي بُرْدَةٍ؛ إِنْ غُطِّيَ رَأْسُهُ بَدَتْ رِجْلاَهُ**)، =كانت قصيرة= (**وَإِنْ غُطِّيَ رِجْلاَهُ بَدَا رَأْسُهُ**)، =فماذا فعلوا به؟ غطوا رأسه بها، وغطوا رجليه بالإذخر؛ بالحشائش والأعشاب= **وَأُرَاهُ قَالَ**: (**وَقُتِلَ حَمْزَةُ**) =عم النبي صلى الله عليه وسلم وأخوه في الرضاعة= (**وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي، ثُمَّ بُسِطَ لَنَا مِنَ الدُّنْيَا مَا بُسِطَ**)، =أصبح هو غنيًّا، أمدَّ الله في عمره، حتى اكتسب من الأموال الحلال ما اكتسب= **أَوْ قَالَ**: (**أُعْطِينَا مِنَ الدُّنْيَا مَا أُعْطِينَا، وَقَدْ خَشِينَا أَنْ تَكُونَ حَسَنَاتُنَا عُجِّلَتْ لَنَا**)، **ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي حَتَّى تَرَكَ الطَّعَامَ**. صحيح البخاري (٤٠٤٥).

وقال الألباني رحمه الله: [وما أحسن ما روى الحاكم (٢/ ٤٥٥) عن صفوان بن عبد الله بن صفوان قال: (اسْتَأْذَنَ سَعْد) =وهو سعد بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ= (عَلَى ابْنِ عَامِرٍ) =وابن عامر كان من قادة الجيش= (وَتَحْتَهُ مَرَافِقُ مِنْ حَرِيرٍ)، =**المرافق**: جمع مِرْفَق، وهي شيء يُتكأ عليه شَبيه بالمِخَدَّة وهي من حرير=.

(فَأَمَرَ بِهَا فَرَفَعْتُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِ مُطْرَفُ خَزٍّ)، =**المِطْرف**: =بضم الميم وبكسرها= (الثوبُ الذي في طَرَفَيه عَلَمان). النهاية (ج ٣ / ص ٢٦٩) =أي في طرفه أعلام=.

فَقَالَ لَهُ: (**اسْتَأْذَنْتَ عَلَيَّ وَتَحْتِي مَرَافِقُ مِنْ حَرِيرٍ، فَأَمَرْتُ بِهَا فَرُفِعَتْ**)، فَقَالَ لَهُ: (نِعْمَ الرَّجُلُ أَنْتَ يَا ابْنَ عَامِرٍ! إِنْ لَمْ تَكُنْ مِمَّنْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: **{أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا}**). (الأحقاف: ٢٠)، =يعني قادر أن تضعَ كتان وغيره، يعني لابد أن تضع تحتك حرير وغيره، أنت تُذهب الطيبات، تأخذها في الدنيا سلفا قبل الآخرة، يقول سعد:= (**وَاللَّهِ لَأَنْ أَضْطَجِعَ عَلَى جَمْرِ الْغَضَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَضْطَجِعَ عَلَيْهَا**). وقال الحاكم: (صحيح على شرط الشيخين). ووافقه الذهبي. وأقره المنذري!!] الصحيحة (١/ ٧٣٨). الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (١٣/ ٢٨٥)، (الحاكم) (٣٦٩٧)، (الطحاوي) (٦٦٨٦)، (سنن البيهقي) (٥٨٦٥)، الصَّحِيحَة تحت حديث: (٣٨٤)، صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب: (٢٠٥٥)، =فما هو جمر الغضا؟ يقولون: نار غاضية، ومعنى نارٌ غاضِيَة: عَظِيمة، أُخِذَ من نارِ الغَضَى، وهو من أَجودِ الوُقُودِ عند العرب=، يعني نار مشتعلة جدا، يجلس عليها سعد كما يجلس على الحرير.

وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ =رضي الله تعالى عنه=، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ**». سنن الترمذي (٢٣٢٠): «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ».

وكم تساوي الدنيا عند الناس اليوم؟ الناس اليوم يكذبون حتى يتحصَّل الواحد منهم على كوبون أو بطاقة، يهدمون بعض بيوتهم ونوافذهم وشبابيكهم، حتى يظهر أضرارا في بيته ليأخذ تعويضا، نسأل الله السلامة، وبعضهم يطلق زوجته حتى تأخذ ورقة الطلاق، ويأخذ هو ورقة الطلاق، ورقة فقط، ليحصل على المعونات، وتبقي بينهم العلاقة الزوجية قائمة، هذا حرام، نتكلم عن الدنيا التي جاءت للناس بدون حرام، الكلام عنها، فكيف بمن جاءته بطريق الحرام؟! نسأل الله السلامة.

(عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذِي الْحُلَيْفَةِ، فَإِذَا هُوَ بِشَاةٍ مَيِّتَةٍ شَائِلَةٍ بِرِجْلِهَا)، =شاة ميتة منتفخة، وقد رفعت رجليها من شدة الانتفاخ= (فَقَالَ: «**أَتُرَوْنَ هَذِهِ هَيِّنَةً**" =أي حقيرة= "**عَلَى صَاحِبِهَا؟ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ عَلَى صَاحِبِهَا، وَلَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا قَطْرَةً أَبَدًا**». سنن ابن ماجه (٤١١٠)

والكفار اليوم؛ عندهم سيول من الأموال، وهم أغنياء أضعاف أضعاف، فالدنيا لهم ولنا الآخرة، المشكلة في المسلم الذي خسر وفشل في الدنيا والآخرة، مسكين عاش فقيرا متكبرا على الله عز وجل، ومات في النار نسأل الله السلامة، يعني لا استمتع بدنيا، ولا استمتع بآخرة، هذا هو الخسران المبين، خسر الدارين نسأل الله السلامة، والكافر خسر الآخرة.

فيا عبد الله توكل على الله سبحانه وتعالى، فقد ورد عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ =رضي الله تعالى عنه=، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِالسُّوقِ، =وانظروا كيف يضرب لنا مثلَ الدنيا، بأشياء واقعية أمامهم، ليأخذوا العبرة والحكمة= مَرَّ بِالسُّوقِ دَاخِلًا مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ، =في جهة جنوب المدينة منطقة العالية= وَالنَّاسُ كَنَفَتَهُ، =يعني بدأوا كلهم يقبلون على النبي صلى الله عليه وسلم، فمنهم من يريد سؤالا، ومنهم من يريد دعاء، إذن هو ماشٍ ومعه صحابته،= فَمَرَّ بِجَدْيٍ =جار ومجرور= أَسَكَّ =صفة، ولم يقل أسكٌ؛ لأنها ممنوعة من الصرف، فتجرّ بالفتحة نيابة عن الكسرة= مَيِّتٍ =أيضا صفة أخرى لكنها مجرورة بالكسرة لم يمنعها مانع، وهذا الجدي الأسك، له أذن صغيرة جدا، وهذا يقلّل من ثمنه، وهو حي=، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ، =صلى الله عليه وسلم تصور الموقف، ولعله ميّت حديثا= ثُمَّ قَالَ: «**أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟**» فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ =أي أنه هو في حال حياته هو حقير لا نرضى به، فكيف نرضى به وهو ميت، ولو كان عجلا= قَالَ: «**أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟**» قَالُوا: وَاللهِ لَوْ كَانَ حَيًّا، كَانَ عَيْبًا فِيهِ، لِأَنَّهُ أَسَكُّ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟ فَقَالَ: «**فَوَاللهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ، مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ**». صحيح مسلم

(٢٩٥٧)، أين الناس في الدنيا عن هذا؟ انظر إلى الزينة والبهرجة في هذه الدنيا، لا تساوي عند الله جناح بعوضة، وخصوصا في هذه الميتة الرخيصة، وهي أهون عليها من هذه الميتة.

وعَنْ الْمُسْتَوْرِدِ بْنِ شَدَّادٍ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ الرَّكْبِ الَّذِينَ وَقَفُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّخْلَةِ الْمَيِّتَةِ، =إذن عرفنا أنه هنا سخلة صغيرة أنثى، غير الجدي، وفي رواية أخرى حمار، لكن ليست روايتنا هذه، رواية الحمار الميت لمن اغتاب أخاه المسلم= فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَتَرَوْنَ هَذِهِ هَانَتْ عَلَى أَهْلِهَا حِينَ أَلْقَوْهَا**»، =هانت أم كانت غالية عندما رموها؟ فلو كانت غالية ثمينة ما رموها= قَالُوا: (مِنْ هَوَانِهَا أَلْقَوْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ!)، =فهذه لا تحتاج إلى سؤال، فالجواب معروف= قَالَ: «**فَالدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ عَلَى أَهْلِهَا**». سنن الترمذي (٢٣٢١).

وثبت أن أَبَا هُرَيْرَةَ =رضي الله تعالى عنه=، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا**" =لو توقف الحديث هنا لهلكنا، لأننا نحن في الدنيا لكن هنا استثناء= "**إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ وَمَا وَالَاهُ وَعَالِمٌ أَوْ مُتَعَلِّمٌ**». سنن الترمذي (٢٣٢٢)، وابن ماجه (٤١١٢)؛ لأننا كلُّنا متعلمون، وعالم ومتعلم هذا استثناء من لعنة الدنيا، فأنت يا من جئت من أقاصي شمال غزة وأقاصي جنوبها، وأقاصي وسطها أجرك عظيم عند الله، أنت خرجت من اللعنة، وإخوان لنا ربما تأخروا لم يلحقوا بنا أو بكم، أيضا لهم أجر عظيم، إذا كان المانع منه قلة المادة أو ما شابه ذلك، وفاقونا أجرا من دفع نقودا وجاء، يعني هو يأتي للخير، ويدفع نقودا، يدفع نقودا من أجل الزكاة، والزكاة أمر آخر، ويدفع نقودا من أجل أن يصلي، يدفع نقودا من أجل أن يصوم، يصل إلى عبادة بمادة، هذا أمره أعلى درجة من إنسان آخر جالس في بيته، ويتمنى على الله الأماني، "**أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ**"، فما هو ذكر الله؟ كلُّ شيء من الأعمال والطاعات هو خالصٌ لله سبحانه، يعني كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم: "**حتى ما تضع في في امرأتك**"، ما تضع في فمها من طعام عن طريق المداعبة وما شابه ذلك، لك أجر عليها، إذا تذكرت الله تلك اللحظة، دخلت في ذكر الله، حتى أعمال العادات التي ليس فيها ثواب، لو نويت فيها وجه الله؛ كالأكل والشرب لو نويت فيه التقوي على طاعة الله، نوم القيلولة تنام حتى تتقوى على طاعة الله في آخر الليل وتقومه، هذا النوم لك أجر عليه بهذه النية، هذا من ذكر الله، "**وَمَا وَالَاهُ**"، كل ما يشمله، "**وَعَالِمٌ**" يعلم الناس، "**أَوْ مُتَعَلِّمٌ**" يطلب العلم.

***

أهل البصيرة عرفوا حقيقة الدنيا:

١٢) لَقَدْ نظروا قومٌ بعينِ بصيرةٍ ... إليها فلمْ تَغْرُرْهُمُ باختيالها

١٣) أُولئك أَهلُ اللهِ حقّاً وحزبُه ... لهم جنةُ الفردوسِ إرثاً ويا لها

نضع لهذين البيتين عنوانا: (**أهل البصيرة عرفوا حقيقة الدنيا**)، قال الشيخ: لقد نظروا قوم بعين بصيرة إليها فلمْ تغررهم باختيالها، هنا قالوا: نظروا قوم، والمعروف عندنا أن نقول: نظر قوم، لكن هذه يقولون على لغة، ويستدلون لها بمثال: (**أكلوني البراغيث**)، وأفضل منها: "**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل**"، والأصل أن نقول في اللغة الأخرى: (**يتعاقب فيكم ملائكة**)، لكن أهل اللغة يذكرون (**أكلوني البراغيث**)، وهذه يشمئز الإنسان منها، لكنها في اللغة جاؤوا بها، أما "**يتعاقبون فيكم**" جاء بواو الجامعة؛ لأن الفاعل موجود، فالأصل أن يذكر فيه بالمفرد، فهؤلاء القوم اختارهم الله عز وجل، فبصّرهم بحقيقة هذه الدنيا، فرأوها بعين البصيرة لا بالعين الباصرة، والفرق بينهما عين البصيرة تنبع من القلب، والعين الباصرة هي الجارحة التي ترى بها، فلم يكونوا ممن قال الله فيهم: **{وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا}**. (الأنعام: ٧٠)، فلم يكونوا من هؤلاء.

إنهم أعرضوا عن الدنيا وعن أهلها لماذا؟ قال: رجاء الرحمة الله، **{وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا * وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا}**. (الإسراء: ٢٨، ٢٩)، فأنت تنفق وتعطي من الدنيا، ربما تجمع لكن بالحلال، تجمع لتعفَّ نفسك، تجمع لتقوم بشئون أهلك، تجمعُ بنية أن تتصدق وتعطي وتنفق، لذلك أنت من الذين لا يبخلون بمثل هذه الأمور، وممن قال الله فيهم: **{وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ}**، فالدنيا عندهم متاع، والدنيا عندهم لغو فأعرضوا عنها، قال سبحانه: **{قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ}**. (المؤمنون: ١– ٣)

فإذا كان الله سبحانه أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بالإعراض عمن لا يريد إلا الدنيا، فبعض الناس لا يريد إلا الدنيا، مالَك ولَه، أعرِض عنه، قال سبحانه: **{فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ}**، ما يعرف إلا الدنيا، لا يعرف غيرها، **{إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى}**. (النجم: ٢٩، ٣٠)، فأمته أولى بالإعراض عن الدنيا وأهلها، فلا يأخذون منها إلا ما يعينهم للوصول إلى الآخرة.

وهذا مثل أضربه دائما للاستفادة؛ بعض الناس يربي الحمير أعزنا الله وإياكم، لماذا يربيها؟ لسواد عيونها، حمار ماذا يريد منه أن يربيه، لكن ليستفيد منه، وهكذا الدنيا، اتخذها مطية للآخرة، فأنت تشتغل في الدنيا لا من أجل الدنيا بل للآخرة، قال سبحانه: **{أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ}**، هؤلاء المؤمنون يدخلهم، **{جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}**. (المجادلة: ٢٢)، **{أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}**. (المؤمنون: ١٠، ١١)؛ لأنه في الآخرة لكلٍّ منا مقعدان، مقعد في الجنة لي ولكم ولكلّ إنسان أنا وأنت، ومقعد في جهنم، فمن دخل الجنة بقي مقعده في النار فارغا، ومن دخل النار بقي مقعده في الجنة فارغا، فالله سبحانه وتعالى يورث المؤمنين مقاعد الكافرين، **{وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}**. (الأعراف: ٤٣)، إذا غيّرت عملك، يتغيّر مقعدك.

ولذلك كما ورد في بعض الأحاديث يعطى أهل الكتاب للمسلمين للمؤمنين، ويقال لهم: يا مؤمن هذا فكاك من النار، اعتق رقبة، اعتق عبد، هذا العبد، فتأخذ اليهودي والنصراني وتلقي به في جهنم، وأنت تنجو إلى الجنة إن شاء الله.

عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ؛ دَفَعَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا، فَيَقُولُ: هَذَا فِكَاكُكَ مِنَ النَّارِ**". صحيح مسلم (٢٧٦٧).

***

لا تركنوا إلى الدنيا فإنها غدارة:

١٤) ومالَ إليها آخرونَ لِجَهْلِهِمْ ... فلمَّا اطمأَنُّوا أَرشَقَتْهُمْ نِبالُها

١٥) أولئك قومٌ آثروها فأُعقِبوا ... بها الخِزْيَ في الأُخرى وذاقوا وَبالَها

والعنوان: (**لا تركنوا إلى الدنيا فإنها غدارة**)، ولا تعتمدوا عليها، فإنها غدارة تغدر بأهلها، قال سبحانه: **{مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ}**، لا يُنقصون من هذه الأمور، يأخذونها كاملة، **{أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}**. (هود: ١٥، ١٦)

إذن هؤلاء الذين أخذوا الدنيا بكمالها من الكفار لم يؤمنوا فأعطاهم حظهم كاملا، لأن الكفار غير المسلمين قد يفعلون أفعالا طيبة، من كفالة الأيتام مثلا، والنظر في شأن المساكين والفقراء... وما شابه ذلك، عندهم أشياء طيبة يحبها الله عز وجل، ويفعلها الكفار، فيعطيهم الله أجرهم في الدنيا، وهم محرومون منها في الآخرة، بينما المسلم قد يأخذ الأجر مرتين، مرة في الدنيا ومرة في الآخرة، وقد يحرمه في الدنيا ويأخذه في الآخرة، فأجر المسلم مضمون في الآخرة، وقد يكون في الدنيا مع الآخرة، أمَّا الكافر فمضمون في الدنيا، وليس له في الآخرة شيء، **{لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا}**، ما هو الذي بطلَ وحبط؟ العمل الصالح الطيب الذي فعلوه مع الآخرين، عندهم جمعيات الرفق بالحيوان، عندهم الرأفةُ والرحمة ببعضهم البعض، عندهم جمعيات المسنين، أشياء كثيرةٌ جدًّا، هل تنفعهم في الآخرة؟ لم يقولوا يوما ربنا اغفر لنا يوم الدين، ما قالوها أبدا، فلا ينفعهم شيء، **{وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}**، حتى لو صلَّوا صلاة المسلمين ما داموا كافرين مشركين، لا ينفعهم عند الله يوم القيامة، الصلاة والصيام والحج لا يقبل إلا من مؤمن، إلا من موحد مخلص، قال سبحانه عن أناس يفكرون في الحياة الدنيا فقط، ويظن بعد ذلك الهلاك وعدم الحياة بعد ذلك، **{وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ}** (الجاثية: ٢٤)، نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر، الدهريون أو أناس لا يؤمنون بالآخرة، فقال سبحانه عنهم: **{إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ * أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}**. (يونس: ٧، ٨)

إذن فالكسب الذي كسبوه، والعمل الذي عملوه عدمُ تصديقهم وإيمانهم بالله، وعدم تصديقهم باليوم الآخر، واطمئنانُهم بالحياة الدنيا من جمع حطامها، وما شابه ذلك رضاهم بها، جعلهم يكونون من أصحاب النار بهذه الأعمال.

أولئك قومٌ آثروها، فأُعقِبوا بها الخِزْيَ والعار، ومثالٌ على الخزيِ في الدنيا وفي الأخرى، وأن يذوقوا وبالها في الدنيا وفي الآخرة ما حدث مع قارون.

والعجيب في قارون هذا أنه آتاه الله من الأموال ما إن المجموعة من الرجال ليثقلها حَمْلُ المفاتيح، فكانت مفاتيحه من حديد، كما قالت بعض الروايات التفسيرية، فاستثقلها فجعلها من خشب، فاستثقلها فجعلها من جلود، وكلُّ مفتاحٍ مقدار الأصبع، ضعها مع بعضها، واجعل مجموعة من الرجال الأشداء الأقوياء، يبلغون العشرة أو أكثر يحملونها، هذه المفاتيح؛ فكيف بالخزائن؟ ومع ذلك ما حمد الله، وما شكر الله، ما اعترف بهذه النعمة، بل قال: **{إِنَّمَا**

أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي}. (القصص: ٧٨)، وفوق هذا وهذا يريد أن يكيدَ نبيَّ الله، وكليمَ الله موسى عليه السلام، **{فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ}**، أحلى ما عنده، حتى الخيل كان يضع عليها حبال الحرير، وعربات الذهب والفضة، والعبيد يلبسون الحرير، والحلي من الذهب والفضة واللآلئ وما شابه ذلك، والكل حوله ينظر إلى موكبه، فلما رآه الناس ضعاف القلوب والإيمان **{قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ}**، نظرة سطحيّة، نظرة إلى القشور، ليست نظرة إلى الداخل والإيمان، **{وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ}**، اصبروا تجدوا الثواب إن شاء الله.

وكانت النتيجة لقارون؛ **{فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ}**، انخسفت الدار، ولم يبقى منها شيء، بمفاتيحها وخزائنها، وأما هو فدعا موسى عليه السلام ربه سبحانه وتعالى الأرض أن تطيعه سائر اليوم، فلما أطاعته الأرض، قال: ابتلعي منه كل يوم قامة، أول يوم ما بقي إلا رأسه، ثاني يوم ...، وهكذا إلى يوم القيامة، كما ورد في الحديث رواه الحاكم بسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (لَمَّا أَتَى مُوسَى قَوْمَهُ أَمَرَهُمْ بِالزَّكَاةِ فَجَمَعَهُمْ قَارُونُ فَقَالَ لَهُمْ: «**جَاءَكُمْ بِالصَّلَاةِ، وَجَاءَكُمْ بِأَشْيَاءَ، فَاحْتَمَلْتُمُوهَا فَتَحَمَّلُوا أَنْ تُعْطُوهُ أَمْوَالَكُمْ**». فَقَالُوا: لَا نَحْتَمِلُ أَنْ نُعْطِيَهُ أَمْوَالَنَا فَمَا تَرَى؟ فَقَالَ لَهُمْ: "**أَرَى أَنْ أُرْسِلَ إِلَى بَغِيِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَنُرْسِلَهَا إِلَيْهِ، فَتَرْمِيَهُ بِأَنَّهُ أَرَادَهَا عَلَى نَفْسِهَا، فَدَعَا مُوسَى عَلَيْهِمْ فَأَمَرَ اللَّهُ الْأَرْضَ أَنْ تُطِيعَهُ**، فَقَالَ مُوسَى لِلْأَرْضِ: **خُذِيهِمْ فَأَخَذَتْهُمْ إِلَى أَعْقَابِهِمْ**" فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: يَا مُوسَى يَا مُوسَى، ثُمَّ قَالَ لِلْأَرْضِ: «**خُذِيهِمْ فَأَخَذَتْهُمْ إِلَى رُكَبِهِمْ**» فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: يَا مُوسَى يَا مُوسَى، ثُمَّ قَالَ: «**لِلْأَرْضِ خُذِيهِمْ فَأَخَذَتْهُمْ إِلَى أَعْنَاقِهِمْ**» فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: يَا مُوسَى يَا مُوسَى فَقَالَ لِلْأَرْضِ: "**خُذِيهِمْ فَأَخَذَتْهُمْ فَغَيَّبَتْهُمْ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى: يَا مُوسَى سَأَلَكَ عِبَادِي وَتَضَرَّعُوا إِلَيْكَ فَلَمْ تُجِبْهُمْ، وَعِزَّتِي لَوْ أَنَّهُمْ دَعَوْنِي لَأَجَبْتُهُمْ**"، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ **{فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ}**. (القصص: ٨١)، خُسِفَ بِهِ إِلَى الْأَرْضِ السُّفْلَى)، المستدرك على الصحيحين للحاكم (٢/ ٤٤٣) رقم (٣٥٣٦): (هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ). قال الذهبي: [على شرط البخاري ومسلم]

وفي رواية عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ عز وَجل: **{فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ}** قَالَ: قِيلَ لِلأَرْضِ: خُذِيهِمْ، فَأَخَذَتْهُمْ إِلَى أَعْقَابِهِمْ، قَالَ: قِيلَ لَهَا: خُذِيهِمْ، فَأَخَذَتْهُمْ إِلَى حِقِيِّهِمْ، قِيلَ لَهَا: خُذِيهِمْ، فَأَخَذَتْهُمْ إِلَى أَعْنَاقِهِمْ، قِيلَ لَهَا: خُذِيهِمْ فَخُسِفَ بِهِمْ. رَوَاهُ أَبُو عَوَانَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ. الأحاديث المختارة (١٠/ ٣٨٤) رقم (٤١٠)

يعني كل يوم يترل قامة على قدر طوله، نسأل الله السلامة من هذه القامة، **{فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ}**. (القصص: ٧٩– ٨١)

أمثال هؤلاء مصيرهم **{أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ}**، كأن المثل يقع عليهم، الذين يخربون المساجد، بيوت الله سبحانه وتعالى، ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين **{لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ}**. (البقرة: ١١٤)

وآية ذكرناها قبل قليل، وقد نذكرها في أكثر من موضع: **{مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}**. (هود: ١٥، ١٦)

***

يا أهل الدنيا تمهلوا:

١٦) فَقُلْ للذينَ اسْتَعْذَبوها رُوَيْدَكُم ... سَيَنْقَلِبُ السُّمُّ النقيعُ زلالَها

١٧) لِيَلْهوا ويغترُّوا بها ما بدا لُهُمْ ... متى تبلُغِ الحلقومَ تُصْرَمْ حبالُها

هذه وضعت لها عنوانا: **(يا أهل الدنيا تمهلوا)**، يعني يركضون ركضا وراءها، ويجرون جريا وراءها، فلذا وضعنا هذا العنوان: **(يا أهل الدنيا تمهلوا)**،

فَقُلْ للذينَ اسْتَعْذَبوها رُوَيْدَكُم *** سَيَنْقَلِبُ السُّمُّ النقيعُ زلالَها

(لِيَلْهوا) هنا واو جماعة، أي ليلعبوا ويغترُّوا بها ما بدا لُهُمْ، متى تبلُغِ، وفي نسخة أخرى: متى ما تبلغ الحلقومَ تُصْرَمْ حبالُها، وهذا من قول الله عز وجل: **{فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا}**. (الطارق: ١٧)، ومن قوله سبحانه: **{وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا}**. (المزمل: ١١)

فـــانظروا واعتبروا بما حصل لصاحب الجنتين، كما في سورة الكهف، عندما اغتر بالدنيا، واغتر بالجنتين، ورأى الأنهار تجري، والزروع والنخيل وما شابه ذلك، فجأة! **{وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا}**. (الكهف: ٤٢)، ما نفعه أحد.

كذلك أصحاب الجنة كما في سورة ن، (سورة القلم)، بعد أن عزموا على أن يقطعوا سيرة أبيهم الذي كان يتصدّق على الفقراء والمساكين، فبعد أن مات **{ فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ * أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ}**. (القلم: ١٧، ١٨)، ماذا كانت النتيجة؟ **{فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ}**. (القلم: ١٩، ٢٠).

هذه هي الدنيا اغتروا بها، وأرادوا جمعها، ولم يخرجوا منها حقوق الآخرين، ولم يؤمنوا بالله عز وجل، إذن نهايتها إلى زوال، وإلى انصرام، هؤلاء؛ **{ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ}** ثلاثة؛ الأكل والتمتع واللهو **{فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ}**. (الحجر: ٣)، وهذا فيه تحذير من الله عز وجل، لأهل الدنيا الذين يركضون وراءها ولم يسمعوا لنداء الموحدين، لنداء الأنبياء، لنداء المرسلين، لنداء الدعاة، فهؤلاء ذرهم، والركض هنا أكل وشرب وتمتع وإلهاء، فهم لاهون غافلون ومنشغلون عن الآخرة، فسوف يعلمون.

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ}. (لقمان: ٣٣)

الدنيا -كما مثّلها بعض الناس-، بأنها يراها الناس فتاةً جميلةً جدا، بتقاطيع حسنة مليحة، وشعر أسود، وملابس نسائية حريرية رقيقة شفافة، أصباغ الزينة على وجهها، جمال آخر فوق جمالها، يكون جمال آخر من صنع البشر، الألوان التي تضعها المرأة على وجهها، هذه هي الدنيا، فإذا اقتربوا منها وكشفوا عنها وجدوها عجوزا كبيرة في السن شمطاء، شعرها أبيض، ليس لها أسنان، وعيونها لم يبقى فيها إلا القذى، وفي رجليها العرج، وكأنها هيكل من خشب لا من عظم، هذه هي حقيقة الدنيا، لكن من بعيد هي تغرُّ الناس فيجرون ورائها، وفي الحقيقة يعرفها الناس.

وحتى تعرف الدنيا على حقيقتها؛ تصور نفسك قبل نزع ملك الموت للروح بلحظات، بماذا تفكر أنت يا عبد الله قبل نزع روحك بلحظات، ونظرك يكون مدّ البصر، تنظر هنا وهناك، ومن حولك، ويجلس أولادك، وبناتك

وزوجتك وعشيرتك، وتنظر إلى أرضك وعقارك ومالك أو سيارتك، أو بيتك المنمق الذي تعبت عليه، تلك اللحظة تفكر في هذا كله، أم تفكر في نفسك؟

أو تفكر في الآخرة، أو تفكر فيما أنت مقبل عليه؟ فما هذا التخدير الذي حدث للناس؟

الذين لا يتذكرون ويفيقون من هذا التخدير إلا عند سكرة الموت، نسأل الله عز وجل السلامة لنا ولكم ولسائر المسلمين، لذلك هؤلاء الناس عندما تذكره أن هذا من الله، وهذه الأنعام وهذه الأموال، وهذا المتاع، وهذه الخيرات وهذه النعم من الله، لكن كما قال قارون: **{قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي}**، قال الله عن بعض الناس: **{وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ}**، كما في سورة الواقعة، وهؤلاء كيف يكذبون؟ قال: يدَّعون ويزعمون أنهم هم الذين جاؤوا بهذا، وينسون توفيق الله لهم به، بالأموال والأولاد وما شابه ذلك **{فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ}** عند نزع الروح **{وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ}** لكن لا حركة، ولا قدرة حتى على الكلام **{وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ}**. (الواقعة: ٨٢– ٨٥)

في هذا الوقت، وفي تلك اللحظات؛ قد يشتهي بعض الناس عند بلوغ الحلقوم أكلا أو شربا، يشتهي محادثةَ من يحب من زوجة أو ولد أو طفلة، أو أب أو صغير أو كبير، يشتهي شيئا، فجاء الأمر من الله: **{وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ}**. (سبأ: ٥٤)، وهذه تنطبق على الكفار، لكن الله عز وجل ذكرها في كتابه هنا لنا لنعتبر، حتى لا يأتي وقت نشتهي فيه فعل الطاعات، وفعل الحسنات والصدقات، والوصايا الحسنة، فلا نستطيع **{وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ}**، فلذلك لا تمضي وصيةَ من أوصى عند الموت، ولا طلاق من طلق عند الموت، هذه لا ينفذها الفقهاء والعلماء؛ لأنه يئس من هذه الحياة الدنيا، فلا ينفع فيه مثل هذه الأمور.

عَن مُجَاهِد رَضِي الله عَنهُ ورحمه فِي قَوْله: **{وحيل بَينهم وَبَين مَا يشتهون}**، قَالَ: من مال أو ولد، أَو زهرَة أَو أهل، كل هذا يتمناه، ولكن هناك حيلولة بينه وبينه، لا يصل إليه، **{كَمَا فعل بأشياعهم من قبل}**، قَالَ: كَمَا فعل بالكفار من قبلهم. الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٦/ ٧١٥) انتهى.

إذن لحظة الفراق بين الدنيا والآخرة هذه عامة على الكافرين وعلى المسلمين، فانظر إلى شهوات هؤلاء عند الموت، ما يشتهي الكفار، وما يشتهي المؤمنون عند الموت، وكلهم **{حِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ}**، فلذلك هذا الإنسان المسكين الغريب في هذه الحياة الدنيا، لابد أن يتذكر الله عز وجل في كل وقت وحين.

أما من نسي الله، أما من تجاوز الحدود فادعى أنه هو الإله، وأنه الرب؛ لأنه يملك أشياء معينة كما قال فرعون، ماذا قال فرعون الذي ملك الدنيا في نظره: **{مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي}**. (القصص: ٣٨)، **{فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى}**. (النازعات: ٢٤)، هكذا كان يدعي، هذه الربوبية التي ادعاها، قال الله عنه: **{وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ}**. (الأعراف: ١٣٧)، دمروا، بل كانت ميتة فرعون عجيبة، بالغرق! وهو يشتهي أن يفرَّ لكنه ما استطاع، فلعلَّ الكلمة تنفع؛ **{قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ}** (يونس: ٩٠)، ما قال: لا إله إلا الله، فلم ينفعه ذلك؛ لأنه يريد أن يكرر المسألة كما كررها قبل ذلك، عند نزول الجراد والقمل والضفادع والدم، قال هو وقومه: **{لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ * فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ}** (الأعراف: ١٣٤، ١٣٥)، فلا آمنوا ولا أرسلوا بني إسرائيل، وهذه مثله، فلذلك يحسب أنها سلسلة، فدمّر الله عليه وأغرقه.

أمَّا قارون، **فماذا كانت نهاية قارون؟** الخسف، قال سبحانه: **{فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ}**. (القصص: ٨١).

***

جزاء كل نفس بما عملت:

١٨) ويوم توفَّى كلُّ نفسٍ بكَسْبِها ... تَوَدُّ فداءً لو بَنيها ومالَها

١٩) وتأْخذُ إما باليمينِ كتابَها ... إذا أَحسنتْ أَو ضدَّ ذا بشِمالِها

٢٠) ويبدو لَدَيْها ما أُسَرَّتْ وأَعلنتْ ... وما قدَّمَتْ من قولِها وفعالِها

هذه الأبيات نضع لها عنوانا: (**جزاء كل نفس بما عملت**)، يعني لا يكون ظلم عند الله سبحانه وتعالى، بل كل نفس جزاؤها ما عملت، ويوم توفى كل نفس بكسبها، يوم القيامة لن يحاسبك الله على أفعال الآخرين، يحاسبك

على كسبك أنت، وهناك يكون الفداء، يعني لو استطاع أن يفدي ببنيه وأمه وأخيه، يفتدي بماله أجمع، لمن ما ينفعه، في ذلك اليوم الكتب بين أمرين؛ الكتب التي كتبت عليك تأخذها باليمين أم بالشمال؟ يوم القيامة كلُّ الأشياء السرية تبدو، بل علانية توضح أمام الناس، نسأل السلامة، القول والفعل.

فـــيا طلاَّب الآخرة، آمنوا بالله سبحانه، **{وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}**. (البقرة: ٢٨١)، يوم القيامة يقال: **{لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ}**. (غافر: ١٧)، أنت مقبل على حكم عدل سبحانه، **{إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا}** (النساء: ٤٠).

عند الله عز وجل عدل مطلق، وعند الله فضل عظيم، فما الأفضل لنا، العدل أم الفضل؟ الفضل، نسأل الله أن يعاملنا بفضله لا بعدله؛ لأنه لو عاملنا بعدله لهلكنا، أمور كثيرة جدا نحن مقصرون فيها، لكن يتفضل الله علينا بالعفو عن الذنوب والخطايا، ويتفضل علينا بالحسنات، **{يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا}**، مسطر مكتوب **{وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ}**، هنا هذا السوء، **{تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ}**. (آل عمران: ٣٠)

وننظر يوم القيامة، وسترون ذلك علانية، ونعوذ بالله أن نكون من هؤلاء، **{يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ}**، أي زوجته، **{وَأَخِيهِ * وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ}**، وفصيلة غير قبيلة، فصيلة العائلة.

واليوم والحمد لله توجد حركات وفصائل، والكل يميل إلى اللون الذي يريده، ويوم القيامة يفرّ من هذا كلّه، وليس من هذا فقط بل **{وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ}**، لو يستطيع أن يفتدي بكل من في الأرض حتى ينجيه لفعل **{كَلَّا إِنَّهَا لَظَى}**. (المعارج: ١١- ١٥)، انتهى الأمر.

{يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ}، بأنبيائهم، بكتبهم التي أنزلت عليهم، **{فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا}**. (الإسراء: ٧١)، اليمين، أهل اليمين، نسأل الله أن نكون من أهل اليمين، هذه علامة للإنسان على أنه من أهل الجنة، لذلك؛ **{وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا}** (الإسراء: ١٣، ١٤)، فيُدعَى الناس بأنبيائهم والكتب المترلة عليهم.

{وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ}، إذن هو عرف الآن مباشرة، المؤمن عرف أنه ناجح فائز، لا يهم أن يعرف في أي درجة في الجنة، المهم أنه من أهل الجنة، ولا يهمّه إذا دخل النار يحاسب على بعض الذنوب والخطايا، أخذ كتابه بيمينه، انتهى المصير، والمآل إلى الجنة.

لكن الهالك المجرم من أخذ كتابه بشماله، فماذا يقول: **{يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ}**، يقصد الموتة التي ماتها يا ليتها تكون هلاكا، لا حياة بعدها، **{يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ}**، فتذكر الدنيا وما عنده من أموال، **{مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ}**، تذكر السلطان والمسئولية والقيادة والحكم وما شابه ذلك، **{هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ * خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ}**. (الحاقة: ٢٥– ٣٢)

{وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ}؛ إذن عرفنا أن كتاب الكفار يؤخذ بالشمال، من وراء الظهر، يعني لا يمد شماله مدًّا، بل يأخذه من وراء ظهره، واحد يقول: أغلق الشمال، وأمد اليمين، لا!! هذا في الدنيا ممكن، لكن في الآخرة لا؛ لأنه في أمر قدري كوني، لا تغيير له، **{لا تبديل لكلمات الله}**، سبحانه وتعالى، **{فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَى سَعِيرًا * إِنَّهُ كَانَ}**، أي في الحياة الدنيا، **{فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا}**. (الانشقاق: ١٠– ١٣).

***

اقرأ كتابك:

٢١) بأَيدي الكرامِ الكاتبينَ مسطّرٌ ... فلم يُغْنِ عنها عُذْرُها وجدالُها

٢٢) هنالك تدري ربحَها وخَسارَها ... وإذ ذاك تَلْقى ما إليه مآلُها

=ونضع لها عنوانا: **(اقرأ كتابك)**، بأيدي الكرام الكلام مكتوب، بأيدي الملائكة، مسطر كل اللحظات، الآن الملائكة يكتبون لك استماعك، ويكتبون لي كلامي، ويكتبون سؤالك، هذا الظاهر، أما الباطن لا يكتبونه لأنه إلى الله عز وجل، يكتبون **{مَا يَلْفِظُ}** من قول، ما يتحرك من حركة، **{مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ}**. (ق: ١٨)، فلم يغن عنها وجدالها، يعني من يأتي بالأعذار يقال له: **(اقرأ كتابك)**، هنالك تدري كل نفس ما ربحت، وما خسرت، وإذ ذاك تلقى ما إليه مآلها، يعني أن تأخذ النتيجة، قال سبحانه: **{وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ}**. (الانفطار: ١٠– ١٢)، إذن يوجد فعل، ما يلفظ يكون في كلام، هذا وهذا مسجل، أما القلوب إلى الله سبحانه

وتعالى وحده هو الذي يطلع عليها، عمل القلوب غير مسجل، لأن الملائكة لا تعلمه، لا يطلع عليه إلا الله عز وجل، فأخلص قلبك لله، واعقد الصلح بقلبك مع الله سبحانه وتعالى، لأنك قد تضحك حتى على الملك، وتضحك على الناس، لكن لا تضحك على الله، **{يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ}**. (النساء: ١٤٢)، سبحانه. (١)

{وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ}. (يونس: ٢١)، المكر والخداع الذي يفعلونه بالمؤمنين، وبأهل الإسلام، هذا كله مسجل مكتوب.

و لم التسجيل والكتابة؟

حتى يكون من الإنسان عليه رقيب، اقرأ كتابك، قال سبحانه: **{أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ}**. (الزخرف: ٨٠)، بلى هذا إضراب عن القول الأول والقول الثاني، يعني هذا السر والنجوى التي هم يحسبون أنا لا نسمعها، لأنه يوجد سر، ويوجد نجوى، وكله سر، وكله حركة، **{ورُسُلَنَا لديهم يَكْتُبُونَ}** هذا الذي يظنون أن لا أحد يعلمه، لأنهم يجلسون مع بعضهم فيتكلمون، قال سبحانه: **{إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ}**، وهم الملائكة الكتبة، **{مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ}**. (ق: ١٧، ١٨)

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}. (المائدة: ١٠٥).

بعض الناس قد يظن أنه هناك انفلات، **{وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ}**. (الأنعام: ٣٠)، (المؤمنون: ٣٧)، وأن هناك حياة أخرى، إذن سنكون ما دمنا أغنياء ومن علية القوم، وأغنياء في الدنيا، سنكون أغنياء في الآخرة، وهذا غير صحيح، ومع ذلك يفعلون ما يغضب الله، ويفعلون ويعتقدون الكفر بالله، هذا كله مكتوب عند الله عز وجل الذي لا يظلم، قال: **{وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ * وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ}**. (القمر: ٥٢، ٥٣)، الزبر جمع زابور، وهو ما يزبر فيه، أي

---

(١) لكن بعد المراجعة وجدت شارح الطحاوية يقول: [ثُمَّ قَدْ ثَبَتَ بِالنُّصُوصِ الْمَذْكُورَةِ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَكْتُبُ الْقَوْلَ وَالْفِعْلَ. وَكَذَلِكَ النِّيَّةُ؛ لِأَنَّهَا فِعْلُ الْقَلْبِ، فَدَخَلَتْ فِي عُمُومِ **{يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ}**. وَيَشْهَدُ لِذَلِكَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِذَا هَمَّ عَبْدِي بِسَيِّئَةٍ فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا عَلَيْهِ سَيِّئَةً، وَإِذَا هَمَّ عَبْدِي بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا عَشْرًا**». وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: ذَاكَ عَبْدٌ يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، وَهُوَ أَبْصَرُ بِهِ، فَقَالَ: ارْقُبُوه، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّائِي**»، خَرَّجَاهُمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ، وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ. شرح الطحاوية – ط الأوقاف السعودية (ص: ٣٨٤).

الكتاب الذي يكتب فيه، وهنا معناها كتب الإنسان، كل واحد منا له كتاب، يغلق الكتاب عند الموت، **بماذا يختم؟** نسأل الله أن يختم بلا إله إلا الله، من كان آخر كلامه لا إله إلا الله يسجلها الملك، ومن ختم له بشيء آخر نسأل الله السلامة، يختم له به.

يقال: إن بعض الناس -نسأل الله السلامة- توجه إلى السماء وبدأ يسب الرب، واستمر في ذلك حتى خرجت روحه، ذهبوا به إلى المستشفى، وفي المستشفى قال الطبيب الشرعي: الأدلة تدل على أن هذا ميت من ساعات طويلة، يوم يومين ثلاثة، قالوا: لا، الآن مات من ساعة أو أقل، فقط مسافة الطريق من البيت إلى المشفى، فقال: لا، الأدلة تقول ذلك، إذن هناك أمر آخر، قالوا: والله مات وهو على كذا، فتبين أنه ميت القلب، أي أنه ميت منذ زمن، **{أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ}**. (النحل: ٢١)، الكفار الذين لا يؤمنون أموات غير أحياء، **{أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا}** كافرا، **{فَأَحْيَيْنَاهُ}**. (الأنعام: ١٢٢) بالإيمان والتوحيد، نسأل الله السلامة.

يوم القيامة؛ **{وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ}**، يعلمون ما في هذا الأمر **{وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا}**. (الكهف: ٤٩)، لا في ظلم ولا اعتداء من الله سبحانه وتعالى، وننظر الآن إلى الفئتين والصنفين.

***

أهل السعادة في نعيم لا ينفد:

٢٣) فإن تكُ من أَهل السعادةِ والتُّقى ... فإنَّ لها الحسنى بِحُسنِ فِعالِها

٢٤) تفوزُ بجنَّاتِ النعيمِ وحورِها ... وتُحْبَرُ في روضاتِها وظلالِها

٢٥) وترزقُ مِمَّا تَشْتَهي من نعيمِها ... وتشربُ من تَسْنيمها وَزُلَالِها

العنوان: (**أهل السعادة في نعيم لا ينفد**)، فإن تك من أهل السعادة والتُّقى، فإنَّ لها الحسنى بِحُسنِ فِعالِها، تفوزُ بجنَّاتِ النعيمِ وحورِها، وتُحْبَرُ في روضاتِها وظلالِها، وترزقُ مِمَّا تَشْتَهي من نعيمِها، وتشربُ من تَسْنيمها وَزُلَالِها، قال سبحانه: **{وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ}**. (هود: ١٠٨)، العطاء لا ينقطع بل يزداد، هذه سعادة، **{لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ**

وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}. (يونس: ٢٦)، إذاً هناك عطاء غير مجذوذ، وهنا خلود لا ينقطع، وفيه دوام.

سعادة أخرى لأهل التقوى؛ **{وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا}** في الحياة الدنيا **{وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ}** أيضا في الحياة الدنيا، رزق إيمان وتوحيد وعمل صالح، رزق أولاد أبناء، رزق دنيا، يرزقه من حيث لا يحتسب **{وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا}**. (الطلاق: ٢، ٣)، **{ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا}**. (الطلاق: ٥)، فكل هذا الكلام عن أهل السعادة، هم أهل التقى، فالذي يتقي الله يخافه في السر والعلن.

{وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ}. (الأنعام: ٣٢)

ومن دعاء الصالحين الذين ذكرهم الله سبحانه وتعالى، وهم الصالحون من بني إسرائيل قالوا: **{وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ}**، ولمن تكتب رحمة الله؟ **{فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ}**. (الأعراف: ١٥٦)، فمن صفات أهل التقوى أن الدنيا عندهم لا شيء، فلذلك يخرجون من زكاة أموالهم من قبل أنفسهم، طيبة بها أنفسهم، ويؤمنون بآيات الله سبحانه.

ومن آيات الله سبحانه في صفات أهل السعادة: **{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ}**، وهذه الملائكة بماذا تبشرهم؟ **{أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}**، الله ولينا، الله ولي الذين آمنوا، ومنهم أن الله يجعل الملائكة أولياء للمؤمنين، والذين كفروا أوليائهم الشياطين، **{وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ}**. (فصلت: ٣٠-٣٢)، انظر إلى الاسمين الكريمين، مغفرة مع رحمة.

وينادي الله عز وجل على عباده المؤمنين: **{يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ}**، من هم عباد الله في الدنيا؟ **{الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ}**، ما لهم في الآخرة؟ **{ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ}**، الحبور هو السرور والمسرة، والفرح والانبساط والانشراح.

ومن هذا الانشراح؛ **{يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ}**، جمع صحفة وهذه فيها طعام، وهذه ليست من ألمنيوم، ولا من خزف، ولا من بلاستيك، وإنما بصحاف من ذهب، وكذلك؛ **{وَأَكْوَابٍ}** وهي التي يوضع فيها الشراب، **{وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ}**، ما اشتهته نفسك تجده، لكن النفس الدنية تشتهي الدخان أن تشربه! لا! لا يوجد هناك دخان، فالجنة لا يوجد فيها نار، وهناك سبحان الله المؤمن لا يشتهي مثل هذه الخبائث، لأن الدخان وأمثاله خبيث، لكن هناك من اشتهى الخمر وجد أنهارا، **{مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ}**. (محمد: ١٥)، كما سنعلم.

{وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ} يعني أحيانا قد يكون الطعام أو الشراب منظره قبيح للعين، لكن عند الطعم جيد ولذيذ، فهناك شيء من التنافر والتناقض بينهما، ما هذا؟ وبعض الناس لا يأكل الشيء إلا إذا عرفه، وهذا الشيء غريب، لكن في الآخرة ينطبق الأمران، لذة العين في النظر، وأنت تنظر إليه شيء يجذبك لتناوله، وشهوة في النفس **{وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}** لا تنقطع اللذة، ولا تنقطع المتعة **{وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}**. (الزخرف: ٦٨– ٧٢)، وألذ من ذلك كله هذا العنوان:

(**النظر إلى وجه الرب الكريم**)، قال الشيخ رحمه الله:

٢٦) وَإِنَّ لهم يومَ المزيدِ لموعداً ... زيادةَ زُلْفى غيرُهُم لاَ ينالُها

٢٧) وجوهٌ إِلى وجهِ الإِلهِ نواظرُ ... لقد طالَ ما بالدمعِ كانَ ابتلالُها

وَإِنَّ لهم يومَ المزيدِ لموعداً، هذا الموعد ما هو؟ زيادة زُلْفى غيرُهُم لاَ ينالُها، وجوهٌ إِلى وجهِ الإِلهِ نواظرُ، لقد طالَ ما بالدمعِ كانَ ابتلالُها، قال سبحانه: **{ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ * لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ}**. (ق: ٣٤، ٣٥)، لدينا مزيد.

أين الاستدلال على العنوان من هذه الآية؟

كلمة مزيد، المزيد زيادة عن الجنة يعني الرؤية، رؤية الله سبحانه وتعالى، يؤيد هذا الكلام ما ورد [فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ صُهَيب بْنِ سِنَانٍ الرُّومِيِّ =رضي الله عنه=: أَنَّهَا النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ الْكَرِيمِ. وَقَدْ رَوَى الْبَزَّارُ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، ... عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ =رضي الله عنه= فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: **{وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ}** قَالَ: (**يَظْهَرُ لَهُمُ الرَّبُّ عَزَّ**

وَجَلَّ، فِي كُلِّ جُمُعَةٍ)]. تفسير ابن كثير ت سلامة (٧/ ٤٠٧)، هذا من أحد التفاسير لهذه الكلمة كما ذكرها ابن كثير رحمه الله.

قال سبحانه: **{لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ}**، القتر يعني اللون الذي يختلف عن اللون الطبيعي، فتجد على وجه الإنسان شيء من الغبرة، **{ترهقها قترة}**، يغير هذا اللون في الوجه، ولا ترهق وجوههم قتر.

لو رأيت إنسانا بعد انفجار صاروخ في بيت؛ ماذا يكون على وجهه؟ هذا هو القتر، إنسان مرت بجانبه سيارة في شارع غير ممهد وفيه تراب، وأثارت من هذا النقع التراب، وجاء على وجهه.

إنسان سقط على وجهه، هذا الوجه يعتريه القتر يوم القيامة من الكفار، أما المؤمنون **{وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}**. (يونس: ٢٦)

عَنْ صُهَيْبٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **"إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ"**، =نسأل الله أن نكون منهم يارب= **"قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟"** =هذا الذي يريدونه هم، فيذكرهم الله عز وجل ويعطيهم شيئا آخر لم يذكروه، غير تبييض الوجوه، وغير الجنة، وغير النجاة من النار،= **"قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ"**، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: **{لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى}** =أي الجنة= **{وَزِيَادَةٌ}**. (يونس: ٢٦)، صحيح مسلم (١٨١)

فالله سبحانه وتعالى جعل بينه وبين عباده جعل سبعين ألف حجاب من نور، فعَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: **"إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ"** -وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: **"النَّارُ- لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ"**. صحيح مسلم (١٧٩).

فلذلك يعطى المؤمنون يوم القيامة قوَّة في الإبصار حتى يروا الله عز وجل، فمنهم من يراه كل أسبوع مرة، ولا يحرم المؤمنون الرؤية أكثر من أسبوع، ومنهم من يراه كل يوم مرة، ومنهم –كما ورد في حديث في إسناده مقال– من يراه كل يوم مرتين، نسأل الله أن نكون منهم، فننظر إليه بكرة وعشيا، اللهم اجعلنا منهم يارب والسامعين لنا، والمحبين لنا ولكم، اللهم آمين.

{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ}، تعلوها النضرة والجمال والبهاء والرونق، **{إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}**. (القيامة: ٢٢، ٢٣)، تنظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى.

قال سبحانه: **{إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا}**. (مريم: ٥٨)، ففي الحياة الدنيا كانوا يبكون، يبكون عندما يسمعون كلام الله سبحانه وتعالى، شوقا إلى الجنة، أو خوفا من النار، شوقا إلى الله، أو خوفا من غضب الجبار، هذا البكاء جعلهم يوم القيامة يرون الله سبحانه وتعالى.

وقال سبحانه: **{إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا * وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا}**. (الإسراء: ١٠٧- ١٠٩)

العيون بالدموع ابتلالها، ابتلت بالدموع، إما خوفا أو شوقا، **{وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا}**. (الأنبياء: ٩٠)، **{خَوْفًا وَطَمَعًا}**. (الروم: ٢٤)، هذا هو المؤمن حقا بين هذين الجناحين يطير.

***

تجلِّي الرب جل جلاله وسلامه وجواره:

٢٨) تجلَّى لها الربُّ الرحيمُ مسلِّماً ... فيزدادُ من ذاك التَّجلِّي جمالُها

٢٩) بمقْعَدِ صدقٍ حبَّذا الجارُ ربُّهم ... ودارِ خلودٍ لم يخافوا زوالَها

العنوان: (**تجلِّي الرب جل جلاله وسلامه وجواره**)، إنه سيسلم على الناس، ويعطيهم الأمن والسلام، ويكونون في جواره، وجوارُ الله هي جنته، نسأل الله أن نكون من أهلها، تجلى لها الرب الرحيم مسلِّمًا، فيزدادُ من ذاك التَّجلِّي جمالُها، جمال الجنة، أهلها يزدادون جمالا، يزداد المؤمنون، بمقْعَدِ صدقٍ حبَّذا الجارُ ربُّهم، ودارِ خلودٍ لم يخافوا زوالَها.

جاء في الحديث الصحيح: **"يتجلَّى لنا ربُّنا عزَّ وجلَّ يوم القيامة ضاحكا"** =سبحانه=. أخرجه ابن خزيمة في التوحيد (١٥٣) والطبراني في (المعجم الكبير). انظر الصحيحة (٢/ ٣٨٣) ح (٧٥٥)

يتجلى لنا ربنا عز وجل يوم القيامة ضاحكا، تصور هذا الأمر، نتصور أدنى من ذلك في هذا الزمان، كلٌّ واحد منا له شخصية معينة يحبها من المسؤولين مثلا، تخيَّل أنه داخل علينا الآن، تلك الشخصية التي أنت تحبها، كيف يكون ترحيبك به، واستقبالك له؟

في الدنيا بعد غيبة طويلة، إنسان يرى أحبَّ الناس إليه من والدين أو أبناء ...، كيف يكون الشعور؟ فكيف بعد هذه الدنيا الطويلة أنت تريد أن ترى الله سبحانه وتعالى، ويقابلك ضاحكا غير غضبان، غير ساخط سبحانه، ولا يضحك الله عزّ وجل للكفار، ولا للمشركين ولا أهل النار، ولن يروه، **{كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ}**. (المطففين: ١٥)، محجوبون؛ حجْبُهم عن رؤية الله عذاب، ورؤيتك يا عبد الله لله نعيم، وأكبر من نعيم الجنة، وأعظم من كل لذة في الجنة، لذة النظر إلى وجهه الكريم سبحانه.

{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ} والنفخ في الصور؛ بعض العلماء جعله مرتين، وبعضهم جعله ثلاث مرات، فالمرَّتان نفخة الصعق ونفخة البعث، والثلاث زادوا نفخة الفزع الواردة في القرآن الكريم.

وعلى كلٍّ حال؛ فإذا هم قيام ينظرون من نفخة البعث، عندما قاموا ينظرون أشرقت الأرض **{وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا}** يتجلى الله سبحانه وتعالى على الكون في ذلك الزمان، فأشرقت الأرض بنور الله، **{وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ}** في المقدمة **{وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ}**. (الزمر: ٦٨– ٧٠)؛ لأن يوم القيامة أول يوم فيه فصل القضاء، حتى يذهب أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، في فصل القضاء، لذلك يطول هذا اليوم على الكفار جدا، أما المؤمنون فيقصر عليهم، فيمر عليهم مرًّا سريعا.

يقول الله سبحانه وتعالى في صفات من يتجلى الله لهم: **{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ}**. (القمر: ٥٤، ٥٥)، مليك من أسماء الله سبحانه وتعالى، وهو مالك يوم الدين، له الملك سبحانه، له مقاليد السماوات والأرض، لكن جاءت كلمة مليك فيها الرحمة والرأفة والرقة، **{بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}**. (التوبة: ١٢٨)، من صفات النبي صلى الله عليه وسلم، وهذه الأصل فيها الألفاظ المشتركة تتشابه فيها الحروف، لكنّ المعاني تختلف؛ لأن الله سبحانه وتعالى من أسمائه الرؤوف الرحيم، مليك مقتدر.

إذن هناك في جوار الله عز وجل يكون في الجنة، لذلك الجنة فوق السماوات العلى، فوق السماوات السبع، جنة المأوى وعندها سدرة المنتهى، وعند السماء السادسة سدرة المنتهى، وأعلاها في جنة المأوى، وتنفرش فروع هذه الشجرة في كل مكان في الجنة يصل إليها فرع من هذه الشجرة التي اسمها طوبى.

أما الكفار والعياذ بالله، فهؤلاء **{إِذَا رَأَتْهُمْ}**، النار، **{مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا}**، كأنها تتفطر وتتشق **{وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا}**، هذا من قرب، وقبل كان من بعد عند التشقق والتفطر، **{مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا}**، كلما يهوي يترل إلى أضيق، فيدعو بالثبور، فيقول: يا ثبوراه، أصابهم الثبور والعياذ بالله، فيقول لهم الله عز وجل: **{لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا}**، فالعذاب لا زال مستمرا، وكل يوم يزداد **{زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ}**. (النحل: ٨٨)، **{وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا}** هذه جئنا بهم إلى أهل السعادة، لماذا؟ لقول الله بعد هذه الآية: **{قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا * لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا}**. (الفرقان: ١٢– ١٦).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله تعالى عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لَا يَبْأَسُ**"، =يعني جسمه يصيبه النعومة، ولا نعومة أجمل وأحسن من نساء أهل الدنيا، الإنسان هناك الرجل والمرأة كلهم في نعومة، لا يبأس لا يحدث له خشونة، لا تصيبه البأساء **"لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ"** ليس كحال أهل الدنيا، ثياب ما شاء الله تبلى في أيام معدودة؛ أما الجنة فلم تخلق للبِلَى والفَناء **"وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ»**. صحيح مسلم (٢٨٣٦)، عند سن معينة يقف فلا يتقدم به العمر إلى الشيخوخة، لا! بل يقف عند سن (٣٣)، سن عيسى عليه السلام عندما رفع إلى السماء، في طول آدم ستون ذراعا في السماء، وأقل ما قيل في الذراع ثلاثون مترا، طول الإنسان يوم القيامة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **"خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، ثُمَّ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ مِنَ المَلاَئِكَةِ، فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ، تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، فَقَالَ السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلاَمُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَزَادُوهُ: وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ، فَلَمْ يَزَلِ الخَلْقُ يَنْقُصُ حَتَّى الآنَ"**، رواه البخاري (٣٣٢٦)

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**يَدْخُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ جُرْدًا مُرْدًا مُكَحَّلِينَ، أَبْنَاءَ ثَلَاثِينَ أَوْ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً**»، سنن الترمذي (٢٥٤٥)

***

طعام وشراب، ووطاء وفِراش:

٣٠) فواكِهُها مِمَّا تَلَذُّ عيونُهُم ... وتَطَّرِدُ الأَنهارُ بين خلالِها

٣١) على سُرُرٍ موضونةٍ ثم فرشهم ... كما قال فيها ربُّنا واصفاً لها

٣٢) بطائِنُها إِسْتَبْرَقٌ كيف ظَنُّكُم ... ظواهِرُها لا مُنْتَهى لجمالِها

طعام وشراب ووطاء وفراش، هذه الأبيات تحمل هذه المعاني، هذا لأهل السعادة، لأهل الجنة نسأل الله أن نكون منهم يارب، فواكِهُها مِمَّا تَلَذُّ عيونُهُم، وتَطَّرِدُ الأَنهارُ بين خلالِها، الفواكه والشراب ذَكَرَه الله سبحانه وتعالى في كتابه مع السرر، ومع الحور العين، قال سبحانه: **{إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ * أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ * فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ}**، إذن فراش يوم القيامة لن يكون على الأرض، فراش أهل الجنة، إنما يكون على السرر.

{يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ}، معين صافي، لو أمسكت بالكأس لرأيت ما وراءه، مع أن الكأس من فضة، **{قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا}**. (الإنسان: ١٦)، والفضة معلوم أنها معتمة، لكن يخلقها الله سبحانه وتعالى يوم القيامة صافية نقية كالزجاج قوارير، هذا الكأس فيه شراب الخمر، ولونه أبيض شفاف، **{بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ * لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ}**، والغول يقولون عنها مادة الكحول، المادة هذه التي تسكر الإنسان ليست موجودة في خمر الآخرة، فيها اللذة فقط؛ لأنها تغني عن ما يحدث في هذا الزمان، نسأل الله السلامة.

{وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ} هن نساء أهل الجنة قصرن عيونهن وأطرافهن على أزواجهن، فلا يرين غيرهم، المرأة لا ترى غير زوجها، وإن كانت من الدنيا من الحور العين فترى محارمه، أما ترى الناس الآخرين من الرجال وما شابه ذلك فلا، **{حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ}**. (الرحمن: ٧٢)، **{وَحُورٌ عِينٌ}**. (الواقعة: ٢٢)، جمع عيناء وهي المرأة واسعة العين، شديدة سواد العين، وشديدة بياضها، وهذه أجمل ما يكون من النساء، **{كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ}**. (الصافات: ٤٠-٤٩)، الذي لم تمسه الأيدي، وهذا يطلق على بعض الجواهر الذي يتأثر إذا أمسكته بيدك، بصمات اليد تظهر عليه، شفاف جدا وحساس، يمسكونه بالملاقط، **{كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ}**، محفوظ لم تتطرق إلى مسِّه الأيدي.

كذلك إذا نظرنا إلى الصحاف والأكواب: **{يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ}**. (الزخرف: ٧١- ٧٣)، فهناك يقدّم للإنسان الصحاف التي هي من فضة، يعني يوم القيامة لن تجد حديدا ولا نحاسا، **إلاَّ أين؟** الحديد والنحاس في النار، أما في الجنة فلا، الجنة فيها الذهب والفضة، والنار فيها الحديد أغلال والنحاس والقطران، نسأل الله السلامة.

ومن أنهارها ما قال الله عز وجل، وقد وردت كلمة أنهار كثيرا في كتاب الله عز وجل، نأخذ منها: **{مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ}**، لم يتغير لونه و لم يتعفن، **{وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ}**، اللبن الذي هو الحليب الصافي، الذي كأنه حلب الآن من بطن الشاة أو الناقة، لكن يوم القيامة هذا خلق بكن فكان، الذي خلقه في البطن؛ هناك لا يحتاج إلى بطن، لا يخرج من بين فرث ودم، يوم القيامة: **(كن لبنا)**، فكان لبنا خالصا سائغا، هذا اللبن لم يتغير طعمه بالحموضة، أو العفن، **{وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ}**، خمر خلقها الله عز وجل فيها اللذة، لا يوجد فيها الإسكار، ولا يوجد فيها الصداع، **{لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ}**. (الواقعة: ١٩)، ولا فيها تقيُّءٌ ولا إسهال، ولا ما يحدث من خمر الدنيا، **{وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى}**، يقولون: النحلة تحتاج إلى ألفِ زهرة حتى تأتي بملعقة عسل، وهنا نهر يجري بأكمله من عيونٍ تنبع بالعسل، بقدرة الله سبحانه وتعالى، **{وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ}**، هذه المشروبات ثم الثمرات من كل الفواكه، وفوق هذا وهذا؛ **{وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ}**، من كان مَثَلُه كذلك؛ **{كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ}**. (محمد: ١٥)، والعياذ بالله، والحميم هو الذي بلغ الغاية في الحرارة، **{فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ}**، هل يستوون؟ لا يستوون.

وعلى ذكر السرر، يقول الله عز وجل: **{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ}** جمع عين، تنبع من كل مكان غير الأنهار، **{ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ * وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ}**، وانظر إلى غِلِّ الناس اليوم مع بعضهم، إلاَّ من رحم الله، بل انظر إلى المسلمين أنفسهم، كل واحد ينظر إلى الآخر بنظرة سوء وظنٍّ، ويريد أن يبيد الآخرين ويبقى هو، أو يتعبّد الآخرين ويريد أن يبقى هو، وهذه حال كثيرٍ من الناس في هذا الزمان.

لكن يوم القيامة؛ **{وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ * لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ}**، لا تعب ولا مشقة، **{وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ}**، من دخل الجنة لا يخرج منها، أما من دخل النار فقد يخرج منها بإيمانه

وتوحيده وشفاعة الشافعين، **{نَبِّئْ عِبَادِي}** كلام للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة، وللدعاة من بعده عامة، فبماذا ينبؤهم؟ بغضب الله عز وجل، بأن الله شديد العقاب، بأن الله جبار، قال: **{نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ}**. (الحجر: ٤٥– ٥٠)، فجاء هنا باسمه الغفور والرحيم، اختار هذين الاسمين المغفرة والرحمة، وما اختار صفة من صفات الغضب عنده، أو السخط، وإنما اختار آلة من آلات العذاب، **{وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ}**.

أما إذا نظرنا إلى الفرش، فقد قال سبحانه: **{مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ}**. (الرحمن: ٥٤)، إذا كانت الفرش البطانة من إستبرق، إذن هناك استبرق، وهناك سندس، الإستبرق الحرير الذي له خمل، ونسميه مخمل، والسندس الحرير الشفاف الرقيق، لذلك الإستبرق له خمل حتى إذا جلس عليه الإنسان يستريح، ويطمئن في جلسته، ليس رقيقا، ديباج مبطن بالحرير، هذا إذا كان في البطائن فكيف بالظواهر لهذه الفرش، **{وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ}**، جناها ثمرها الذي نضج عليها، دان قريب في متناول اليد.

***

ويل وحسرة لأهل الخسارة

٣٣) وإن تكنِ الأُخرى فويلٌ وحسرةٌ ... ونارُ جحيمٍ ما أَشدَّ نَكالَها

العنوان: (**ويل وحسرة لأهل الخسارة**)، مسكين من جرى في هذه الحياة الدنيا ثم يوم القيامة دخل النار بكفره وشركه، وبعده عن الله، قال سبحانه: **{وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ}**، من هم؟ **{الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا}**، يستحبونها فيحبونها فيفضلونها، **{عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ}**. (إبراهيم: ٢، ٣)

ويقول الله عز وجل: **{فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ}**، أحزاب الكفار اختلفوا في الإيمان والتوحيد، وهؤلاء الناس الذين جاءوا مسلمين وغيرهم، **{فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا}**، أي لم يتبعوا هدي النبي صلى الله عليه وسلم، **{مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ}**. (الزخرف: ٦٥)، إذاً هنا ويل، والويل ينتظرهم.

وقال سبحانه: **{وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ}**، قد يتحسر الإنسان على ولد افتقده، على بيت هدم، يتحسر على مرض ألم به، الحسرة العظمى أن يرى الجنة أمامه، ويحرم من دخولها، **{إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ}**. (مريم: ٣٩). في غفلة في الدنيا، فلم يؤمنوا في هذه الحياة الدنيا، وعاشوا في هذه الغفلة، فجاءتهم الحسرة يوم القيامة، يتحسرون وهذه مهلكتهم الحسرة، يموتون كمدا لكن لا موت هناك، وينظرون إلى النار، والنار يقول في حقها سبحانه:

{إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا * وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا}. (المزمل: ١٢، ١٣)، طعام إذا أكلوه يتوقف في الحلق، إذا كان الطعام اللذيذ الذي نأكله والفواكه، هذه لو توقفت في الحلق لتأذينا منها، فكيف إذا كان الطعام ذا أشواك، وذا طعم رديء، وحرارة شديدة، ويقف في الحلق لا ينزل ولا يخرج، يكون حينئذ العذاب الأليم، نسأل الله السلامة.

قال سبحانه: **{وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا}**. (فاطر: ٣٩)، الخسارة العظيمة يوم القيامة.

كذلك الخسارة فيمن قال الله فيهم: **{وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}**. (آل عمران: ٨٥)

وقال سبحانه: **{قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي}**، والخطاب الآن للكفار، **{فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}**، خسر نفسه في جهنم، وخسر أهله في جهنم يوم القيامة **{أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ}**. (الزمر: ١٤، ١٥)، أي والله، ليست خسارة التجارة، وخسارة الدنيا وخسارة ما فيها، الخسران يوم القيامة خسران الجنة، وخسران رحمة الله عز وجل.

***

فِراش من نار، وطعام الغسلين، وشراب الحميم:

٣٤) لهم تحتَهُم منها مهادٌ وفوقَهم ... غواشٍ ومِنْ يحمومٍ ساء ظلالُها

٣٥) طعامُهُمُ الغسلينُ فيها وإن سُقُوا ... حميماً بهِ الأَمعاءُ كان انْحِلالُها

=العنوان: (**فِراش من نار، وطعام الغسلين، وشراب الحميم**)، لهم تحتهم، **فأين يكون الفراش؟** يكون تحتهم، منها مهادٌ من النار، وفوقَهم غواشٍ، لأن أصلها غواشي، لكن لا نقول غواشٌ يوجد حرف محذوف، ومِنْ يحمومٍ، واليحموم ظل يوم القيامة، ظل من دخان أسود، مليء بالروائح الكريهة والحرارة الشديدة، الذي يريد أن يستظل فيه يهرب منه، لا ينفع من الظل، والطعام الغسلين، وسقيا الحميم، يعني سائل بلغ الغاية في الحرارة، الأمعاء تتقطع، وتنحل به، قال سبحانه: **{لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ}**. (الأعراف: ٤١)

وقال سبحانه عن الظل: **{وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ * فِي سَمُومٍ}**، الريح الشديدة التي من سمومها تدخل في الجسد، من مسام الجسد حتى تدخل في الداخل، حتى تصل إلى العظام، **{وَحَمِيمٍ}**، أي شراب بلغ الغاية في الحرارة، **{وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ}**، من دخان أسود والعياذ بالله، **{لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ}**. (الواقعة: ٤١– ٤٤)

نحن نختبئ من الشمس في الظل حتى يأتي الهواء البارد، الإنسان يحتاج شيء باردا، هنا لا.

وأما طعام الغسلينُ؛ فقد قال الله عز وجل: **{فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ}**، أي صديق وصاحب، **{وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ}**، طعام يأكله أهل جهنم والعياذ بالله، كأنه يسيل من فروج المومسات؛ وهن الزواني، من شدة العذاب يخرج، ويتجمد شيئا ما حتى يؤكل، كالدم العبيط، الدم غير السائل، نسأل الله السلامة، **{لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ}**. (الحاقة: ٣٥ – ٣٧)، الذين أخطأوا التوحيد والإيمان، فكفروا بالرحمن.

أما إذا تكلمنا عن الـــشراب الحميم فقد قال الله عز وجل: **{إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ}**، إذا أكل منها ماذا يحدث؟ **{كَالْمُهْلِ}** أي كالزيت الذي يغلي **{يَغْلِي فِي الْبُطُونِ* كَغَلْيِ الْحَمِيمِ* خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ}**، احملوه بشدة وعنف إلى وسط الجحيم، **{ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ* ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ}**. (الدخان: ٤٣– ٤٩)، أي في الحياة الدنيا كان يقال عنه أنه مسئول وعال وذو مكانة، **{وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ}**. (محمد: ١٥)، والعياذ بالله.

***

أعلى أمانيهم الفناء والهلاك:

٣٦) أَمانِيُّهم فيها الهلاكُ وما لَهم ... خروجٌ ولا موتٌ كما لا فَنا لها

عنوان: (**أعلى أمانيهم الفناء والهلاك**)، الكافر ماذا يتمنى يوم القيامة؟ إما يفنى ويهلك؟ وإما يرجع إلى الدنيا؟

عندما يعرف أنه لا رجوع إلى الدنيا يطلب الموت في الآخرة، إذًا هنا كم موت للإنسان، وكم حياة؟

هناك موتتان، وهناك حياتان، لذلك يقولون يوم القيامة: **{رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ}**. (غافر: ١١)، فأين هم؟ ونحن في أي حياة فيهما؟ نحن في الحياة الأولى، الثانية إما في جنة أو نار، والأولى هذه الحياة التي نعيشها، الموت الأول قبل وجودنا؛ لأنه لو قلنا مثلا قبل مائتي سنة من كان منكم موجودا؟ موتى، ثم نحن وجدنا هذه حياة، ثم نموت موتة أخرى، الأخيرة في البرزخ بعدها ما في موت، إذن موت سابق، وموت لاحق للحياة الدنيا، ثم الحياة الدنيا، ثم الأخرى، إذن تختم بماذا؟

بدأت الحياة بالموت، لكنها تنتهي بالحياة، لكن الآخرة حياة أبدية، حياة سرمدية، دائمة لا تنقطع، أَمانِيُّهم فيها الهلاكُ وما لَهم خروجٌ من النار، ولا يموت فيها حتى لا يشعر، كما لا فَنا لها، فلا تفنى، قال سبحانه: **{حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ}** ماذا يريد؟ **{لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}**. (المؤمنون: ٩٩، ١٠٠).

كذلك إذا كان يوم يبعثون ماذا يحدث؟ يُسَلَّم إما إلى نار وإما إلى جنة، **{قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ * قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ}**. (المؤمنون: ١٠٦– ١٠٨)

وقال سبحانه: **{هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ}** كلمة (تأويله) أي وقوعه على ما كتب الله عز وجل، وقوعه يوم القيامة، وقوعه الجنة والنار، وقوع الأمر على ما قدر الله سبحانه وتعالى، **{يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ}** أي نسوا يوم القيامة **{قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ}**. (الأعراف: ٥٣).

وهذه الآية تبين حقيقة أهل النار، قال الله فيها: **{وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ}** ماذا لهم؟ **{لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ * وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا}** ما قال يصرخون، يصطرخون يعني يطلبون الصراخ طلبا، حتى تبحَّ أصواتهم، ما في صراخ، فيحاول قدر ما يستطيع ما عنده من صوت، ماذا يقولون؟ **{رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ}** ويأتي التقريع، وهو الكلام الذي فيه توبيخ **{أَوَلَمْ**

نُعَمِّرْكُمْ} أي في الدنيا ما جاءكم عمر، ستون سنة، سبعون سنة أكثر أقل **{مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ}** جاءكم الأنبياء والرسل، وجاءكم الدعاة إلى الله عز وجل **{فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ}**. (فاطر: ٣٦، ٣٧).

{قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا} معترفون في ذنوبهم ويطمعون في ماذا؟ **{فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ}**. (غافر: ١١)، ما ينفع ذلك، نسأل الله السلامة.

{وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}. (الأنعام: ٢٧)، هل هذا التمني ينفعهم يوم القيامة؟ بعد فوات الأوان لا ينفع.

قال سبحانه: **{وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ}** فكان المصير **{خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ}** صلُّوه بمعنى أحرقوه واشووه شيًّا، مع التحريك **{ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ}**. (الحاقة: ٢٥ – ٣٢)، يعني من أخمص قدميه إلى رأسه، والكافر يكون يوم القيامة هكذا، كما يلف الملفوف، الكافر يكون هكذا يوم القيامة في الحديد، الله يعافينا وإياكم سبحانه وتعالى، **{ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ}**؛ لأنه كافر **{إنه كان لا يؤمن}**، لا يؤمن بالله، ولا يؤمن باليوم الآخر، ولا يؤمن بنبي ولا برسول، إذا انتهى أمره، لذلك أمثال هؤلاء عندما يجدون هذا الأمر ودخلوا النار، إذ وقفوا، لكن الآن دخلوا النار ما ييئسوا من الدعاء والنداء، **{وَنَادَوْا يَا مَالِكُ}** وهو خازن النار يحشها، أي يزيدها وقودا **{لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ}**. (الزخرف: ٧٧)

وهكذا يجيبهم في بعض الروايات التي لا أدري صحتها، ينادون ينادون، ويجيبهم بعد ألف عام، فيقول لهم: **{إنكم ماكثون}**. =عن ابن عباس رضي الله عنه في قول الله تعالى: **{ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك}**، قال: مكث ألف عام ثم قال: **{إنكم ماكثون}**، صحيح، من كتاب الصحيح المسند من أقوال الصحابة والتابعين=.

قال سبحانه: **{إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا}**. (النبأ: ٤٠)، لماذا يقول هذه؟ لأنه رأى حساب البهائم قبل الناس، يحاسبهم ربهم سبحانه وتعالى حتى إنه ليقتص من الشاة القرناء للشاة الجلحاء، التي لها قرون، والتي لا قرون لها، وكأنه يقول إذا الشاة أصبحت ترابا: يا ليتني أكون ترابا، حتى لا أحاسب، لأنها غير مكلفة أصلا، ولكن لماذا يصل الكافر إلى هذه الدرجة؟ وصل إلى هذه الدرجة من أن الله وصفه أولئك كالأنعام بل هم أضل.

***

نهاية الإنسان جنة أو نار لا ثالث لهما:

٣٧) مَحَلَّيْنِ قل للنفسِ ليس سواهما ... لِتَكْسَبْ أَو فَلْتَكْتَسِب ما بدا لها

=العنوان: (**نهاية الإنسان جنة أو نار لا ثالث لهما**)، وعند المعتزلة يقولون بمنزلة بين المنزلتين، فأناس سيدخلون الجنة، وأناس سيدخلون النار، وأناس لا مكان لهم، لا في جنة ولا في نار، وكلمة مَحَلَّيْنِ مثنّى محل، قل للنفسِ ليس سواهما، لِتَكْسَبْ أَو فَلْتَكْتَسِب ما بدا لها، فتكسب ما يأتيها، وتكتسب ما تفعل، وما تريد أن تراه يوم القيامة، قال سبحانه: **{وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ}**. (الشورى: ٧).

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ =رضي الله تعالى عنه=، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ"**، =تصور نفسك واقف بين يدي الله عز وجل، تفكر جيدا، ليس بينك وبينه واسطة، أحد يوصل، أحد يفسر، تصور الإنسان يوم القيامة **"فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ"** =عن اليمين= **"فَلاَ يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ**، =يحملون أوزارا أو أعمالا صالحة= **"وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ"** =جهة الشمال، لذلك الشام سميت بهذا الاسم؛ لأنها جهة الشمال بالنسبة لمكة المكرمة= **"فَلاَ يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلاَ يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ"**، =تصور هذا الموقف يا عبد الله= **"فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ"**، ... وفي رواية: «**وَلَوْ بِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**». صحيح البخاري (٧٥١٢)، ومسلم (١٠١٦).

إذن الله سيكلمك ويسألك، وأنت تنظر قبل الكلام يمينا ويسارا، وتنظر أمامك، النار أمامك، وأعمالك يمينك ويسارك، فبماذا تلاقي الله عز وجل؟ تصور نفسك وأنت تحمل الذنوب والخطايا، ومعاصي ومخالفات شرعية، وتكاسل عن بعض الواجبات أو الفرائض، كيف تقف أمام الله عز وجل؟ وتنظر لهذه الأعمال.

***

فالهناء والفوز لمن زحزح عن النار ونجا:

٣٨) فطوبى لنفسٍ جَوَّزَتْ وتَخَفَّفَتْ ... فَتَنْجو كفافاً لا عليها ولا لها

العنوان: (**فالهناء والفوز لمن زحزح عن النار ونجا**)، فطوبى لنفسٍ جَوَّزَتْ وتَخَفَّفَتْ، فَتَنْجو كفافاً لا عليها ولا لها، قال سبحانه: **{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ}**. (آل عمران: ١٨٥)، يذكرنا الله سبحانه وتعالى في هذه الآية بالحياة الدنيا أنها متاع، وأنها مليئة بالغرور، **{وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ}**، والمشكلة أين؟ المشكلة فيمن يموت على الشرك بالله، يجعل لله ندا، وهو خلقه، قال سبحانه: **{إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ}**. (المائدة: ٧٢)، وقال سبحانه: **{لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ}**. (الحشر: ٢٠).

***

=وفي الختام ندعو بدعاء شَرِيقٌ الْهَوْزَنِيُّ:=

قال شَرِيقٌ الْهَوْزَنِيُّ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ =تعالى= عَنْهَا، فَسَأَلْتُهَا: بِمَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْتَتِحُ إِذَا هَبَّ مِنَ اللَّيْلِ؟ =يسأل عائشة عندما كان يستيقظ النبي صلى الله عليه وسلم من الليل ما يقول= فَقَالَتْ: لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَحَدٌ قَبْلَكَ، كَانَ إِذَا هَبَّ مِنَ اللَّيْلِ:

(**كَبَّرَ عَشْرًا**)، =أي أن يقول: (**الله أكبر**)، عشر مرات، قبل الوضوء، وقبل كل شيء، ممكن وهو جالس على فراشه،=

(**وَحَمَّدَ عَشْرًا**)، =بتشديد الميم، أي قال: الحمد لله عشر مرات،= (وَقَالَ:

«**سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ عَشْرًا**»، وَقَالَ:

«**سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ عَشْرًا**»،

وَاسْتَغْفَرَ عَشْرًا،

وَهَلَّلَ عَشْرًا)، =ستة أمور كررها عشر مرات كل واحدة، لا أن تكررها عشر مرات وتذكرها مع بعضها ستا، لا بل كل واحدة لوحدها عشر مرات= (ثُمَّ قَالَ:

«**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ ضِيقِ الدُّنْيَا، وَضِيقِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ عَشْرًا**»، =وبذلك صاروا سبعا، تنتهي أولها ذكر، وآخرها دعاء=

(**ثُمَّ يَفْتَتِحُ الصَّلَاةَ**). سنن أبي داود (٥٠٨٥)، أي يفتتح صلاة الليل، وصحح هذا الحديث الشيخ الألباني رحمه الله.

والحديث الأخير: عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ، قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ، فَقَالَ: (يَا رَسُولَ اللَّهِ دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ!) فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ**». سنن ابن ماجه (٤١٠٢)

والله تعالى أعلم، وبارك الله فيكم، وجزاكم الله خير الجزاء

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته